شعر قهوة البن في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي – دراسة موضوعية

د. مشهور الحبازي*

* كلية الآداب / جامعة القدس

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعاً جديداً من مواضيع الشعر التي ظهرت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. وهو موضوع شعر قهوة البن. وقد تمت دراسة الموضوع ضمن محاور ثلاثة، في الأول بينت معنى القهوة وأنواعها وموطنها ومكتشفها. وفي الثاني، ناقشت الجدل الذي ثار حول تحريمها وتحليلها وبيان مضارها وفوائدها ودور الشعر في نشر تلك المضار والفوائد. وفي الثالث، تناولت المديح الذي قيل في قهوة البن والغزل بها، وحث الشعراء على شربها من خلال بيان أدوات شربها وما يمزج بها والتعريف ببيوت القهوة ومجالس شربها. ما أدى إلى شيوعها بين الناس في ذلك الزمن بحيث أصبحت عادة يشربها عامة الناس وخاصتهم، لا بل إن بعضهم كان يدمن على شربها. وقد لعب الشعر دوراً مهماً في إشاعتها وانتشارها في المجتمع باعتبارها مشروباً طهوراً مباركاً له فوائد كثيرة.

Abstract

This study deals with a new topic among the poetry subjects that appeared in the tenth century (Hijri) (16th century A.D.) which is Coffee. The study encompasses the topic in three dimensions: In the first I deal with the different kinks of coffee, its sources and discoverer. In the second one I discuss the arguments that have arisen about forbidding or allowing it showing the benefits and harms and the role of poetry in propating these. In the third part I deal with the praises and flirtation of coffee and the urges of the poets to drink it by the instruments used for that and what is mixed in it as well s the acquaintances with coffee shops and the clientele which caused the spread of drinking coffee between people in that age, and so it became a custom to the ordinary people and the elite. However, some were addicts.

poetry played and important role in spreading coffee in society as a purified and blessed drink with many benefits.

شعر قهوة البن في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي - دراسة موضوعية

المقدّمة

موضوع شعر قهوة البن في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، موضوع شعريّ قال فيه الشعراء إسهاماً منهم في الجدل الاجتماعي والفقهي الذي دار في المجتمع العربي الإسلامي في بلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية، حول قهوة البن، هل هي حلال أم حرام ؟ .

وبالرّغم من أن شعراً كثيراً قيل في قهوة البن في تلك الفترة الزمنية إلا أنه مثل كثير من قضايا الأدب العربي في العصر العثماني لم يلق الاهتمام اللازم من الدارسين المحدثين، ومن درسه منهم لم تكن دراسته كافية وشاملة . وأهم من تحدّث عنه هما : نعيم الحمصي في الجزء الثاني من كتابه " نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه " ، وجاء حديثه موجزاً وعاماً في ثلاث صفحات ونيف . وعمر فرّوخ في كتابه " معالم الأدب العربي في العصر الحديث " الجزل الأول، وجاء حديثه أوسع من حديث سابقه وأكثر أمثله شعرية لكنه لا يفي الموضوع حقه، وذلك بالرغم من أنه ورد في ثمان صفحات .

من هنا وجدت أن من المهم دراسة هذا الموضوع الجديد، لأنه يعبّر عن قضية مهمة من قضايا المجتمع العربي الإسلامي التي كان للشعر فيها دوراً مهماً، كما أنه لم يدرس دراسة علميّة متكاملة . وقد اعتمدت في الدراسة المنهج التكاملي بحيث أخذت من مناهج متعددة بما يخدم كل محور من محاور الدراسة الثلاثة ؛ معنى القهوة وأنواعها وموطنها ومكتشفها . والجدل حول تحريمها وتحليلها . ومديحها والغزل فيها .

أولاً . تمهيد تاريخي

في أثناء مطالعتي لعدد من كتب الأدب والتراجم والتاريخ التي وضعت في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، لفت انتباهي ما ورد فيها من ألفاظ وتراكيب دلّتني على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها أهل بلاد الشام بخاصة، والمسلمون في أنحاء البلاد الإسلامية بعامة، وقد اتصلت تلك الألفاظ

والتراكيب بالعلاقات الفردية والجماعية واللباس والعمران والمذاهب الدينية، وفرق التصوف وغيرها من الأمور.

أثار اهتمامي ما كتبه الحسن البوريني في "تراجم الأعيان من أبناء الزمان" في ترجمة الشاعر أحمد ابن أحمد النابلسي المتوفى ١٠١٤/ ١٦٠٥، حيث قال: " وكانت عادته في كل يوم على الصباح أن يُجيب في الغالب داعي الفلاح، ثم يسير إلى بيت من بيوت القهوة، يكون فيه الماء الجاري مع المليح الساقي والجلوة، ويشرب من قهوة البن أقداحاً، ويرتاح بها كأنه عاقرَ راحاً، ثم يشرع في الكتابة" (١). وما قاله في ترجمة الشيخ أبي الفتح ابن عبد السلام المالكي المغربي حيث قال: " وله في القهوة البنيّة مواقف ومشاهد، وذلك مع شيخ الإسلام يونس العيثاوي الشافعي، فإنه كان يرى تحريمها، وكان الشيخ أبو الفتح يكاد يرى وجوبها، فحصل بينهما شقاق طال أمده، وتأجج حسده، وحضرا مرّة لدى قاضي الشام علي أفندي الشهير بقنلي، وتباحثا فيما يتعلق بالقهوة. وذكر كلٌّ منهما دليله، فظهر الشيخ أبو الفتح في البحث على الشيخ يونس حيث لم تكن أدلة التحريم ناهضة. وشرع الشيخ أبو الفتح بعد ذلك في نظم مقطّعات وموشّحات وقصائد في محاسن القهوة وبيان منافعها" (٢). وقد أورد البوريني له بعض الأشعار حول القهوة البنية، مفتياً بحلّها وحاثّاً على شربها، ومبيناً فوائدها وخواصها(٣).

حاولت معرفة مزيد من المعلومات حول شعر قهوة البن، فوجدت كثيراً من الأخبار والأشعار في كتب سبقت البوريني، تتحدث عن قهوة البن ؛ نشأتها وطريقة صنعها، وخواصها، وفوائدها ومضارها، وما إن كانت حلالاً أم حراماً والجدل الذي ثار بين الفقهاء والشعراء حول ذلك.

أما في العصر الحديث فلم أجد إلا إشارات قليلة حول الموضوع، ومن أهمها ما قاله نعيم الحمصي: " وظهر لونان جديدان في هذا المضمار لم يكونا معروفين قبل هذا العهد (العثماني): أحدهما، الحديث عن قهوة البن وما فيها من متعة وما دار حولها من أقوال التحليل والتحريم "(٤).

ثم تحدث في موضع آخر عن شعر قهوة البن مشيراً إلى معرفة أهل العصر العثماني لما كان يسمى بيت القهوة (المقهى). واختلاف الفقهاء والشعراء فيها، وأورد بعض الأشعار في ذلك(٥). ومع أهمية ما قاله إلا أنه لا يفي الموضوع حقه.

وتحدّثت ليلى الصباغ عن قهوة البن، واعتبرتها بدعة لم يستطع المجتمع السوري ردّها، وقد عرفت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وقد أثار ظهورها الجدل حول تحليلها أم تحريمها. وعدّها علماء ذلك العصر مصيبة، لكن وبالرغم من الجدل حولها

فإنها انتشرت بسرعة في سوريا حتى أقيمت بيوتها في معظم مدنها، وأصبح شربها عادة في معظم الأوساط الشعبية(٦). وفي مؤلف آخر لها اعتبرتها ليلي الصباغ من المشروبات التي تأصّلت في سوريا، وأصبح لها بيوتها التي تُتعاطى فيها جهراً، ما أدى إلى تغزّل الشعراء بها، والدفاع عنها(٧).

ولا شك في أنه تظهر في كل عصر من العصور موضوعات للقول تثير اهتمام الناس بها، وبخاصة منهم الشعراء والأدباء والفقهاء. وفي العصر العثماني ظهر موضوع قهوة البن، وانتشر وأثار جدلاً واسعاً في المجتمعات الإسلامية هل هي حلال أم حرام ؟ وتدخل في الموضوع الشعراء والفقهاء وأهل الحكم، وخاصة الناس وعامتهم.

تدخل الشعراء في موضوع قهوة البن أدى إلى قولهم فيها أشعاراً كثيرة بحيث يمكنني القول إنه فن جديد من فنون الشعر التي ظهرت في العصر العثماني، وتستحق الدراسة العلمية.

١- معنى القهوة

القهوة لفظ أصله قها، وأقهى عن الطعام واقتهى: ارتدّت شهوته عنه من غير مرض. وأقهاه الشيء عن الطّعام: كفّهُ عنه أو زهَّده فيه، وقهيَ عن الطعام: لم يشتهه، تركه. والقهوة: الخمرُ، سميت بذلك لأنها تُذْهب شهوة شاربها عن الطعام، وقيل: تشبعه(٨). وقد استخدمها الشعراء بهذا المعنى على مرّ العصور قبل اكتشاف قهوة البن، وأورد الأصفهاني في الأغاني عدة أمثلة على ذلك، منها قول الوليد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان (٩):

من قهوة زانها تقادمها ... فهي عجوز تعلو على الحقبِ
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها ... من الفتاةِ الكريمة النّسبِ

وأكثر من استخدمها بمعنى الخمر الشاعر العباسي أبو نواس، قال(١٠):

وقلتُ: "إني نَحَوْتُ الخَمْرَ أَحْطِبُها... قال: "الدراهمَ! هل للمَهرِ إبطاءُ؟!"
لما تبيَّنَ أني غيرُ ذي بَخَلٍ ... وليسَ لي شُغْلٌ عنها وإبطاءُ
أَتَى بها قهوةً كالمسكِ صافيةً ... كدَمْعَةٍ منْحَتْهَا الخَدَّ مَرْهاءُ

فهو أراد خطبة الخمرة، والساقي طالبه بمهرها، ولما تيقَّن الساقي من تلهفه لها جاءه بها صافية أو كالدمعة تسكبها فتاة غير مكتحلة.

وذكرها مسلم بن الوليد، فقال(١١):

ومانِحَةٍ شُرَّابها المُلْكَ قَهْوةٍ ... مَجُوسِيَّةِ الأَنسابِ مُسْلِمَةِ البَعْلِ
رَبِيْبَةِ شَمسٍ لم تُهَجَّنْ عُروقُها ... بنارٍ ولم يُقْطع لها سَعَفُ النَّخْلِ

فالخمر عنده تمنح شاربيها الملك عندما يسكرون، وهي مجوسيّة النسب مسلمة الزوج.

٢- أنواع القهوة

خلال بحثي في المصادر والمراجع التي ذكرت موضوع قهوة البن تمكنت من الوصول إليها، وجدت أن الناس في العصر العثماني كانت تعرف أربعة أنواع من قهوة البن هي(١٢):

أ. قهوة قشر البن، أو القهوة القشريّة، وهي المتخذة من قشرة البن.

ب. القهوة البنيّة، وهي المتخذة من قشرة البن مع حبِّه المقليّ المجحَّم المدقوق، وهي أشدُّ حرارة وفعلاً من سابقتها.

ج. القهوة البنيّة المحكَّمة الإسْتوى، والمحكّمة، تُقرأ بتشديد الكاف وتركه. وكان بعض الناس يجعلونها ذات مَذاقَ مرّ.

د. مَرْقَحةُ القَهوة. ومَرْقَحةُ: لغة يمانية، وهي حسب ما أكّده المباشرون لشربها، أنه كان يحصل من شربها نشاط وروحنة وطيب خاطر، وتُذهب عن البدن الكسل والنّعاس.

٣- بداية ظهور القهوة

اختلف المؤرخون حول بداية معرفة الناس لقهوة البن، والمكان الذي عرفت فيه أول الأمر، ويمكن عرض الآراء حول بداية ظهورها على النحو الآتي:

أ. أنها ظهرت قبل سنة ٨٦٦/ ١٤٦١ بقليل، ودليل ذلك قول الجزيري في عمدة الصفوة: " وإلى أننا الآن الذي هو عام ست وستين وتسعمائة تزيد مدّتها عن مائة عام(١٣)".

ب. أنها ظهرت سنة ٨١٧/ ١٤١٤، وانتشرت في مكة المكرمة وفق ما جاء في أرجوزة كتبها شرف الدين العمريطي(١٤).

ج. أنها ظهرت في برّ ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرت وغيرهما من برّ العجم في

زمن لا يعلم أوله ولا كيفية سببه، قال الجزيري: " لأن ظهور القهوة في برّ ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرت وغيرهما من برّ العجم، فلا يعلم متى كان أوله ولا علمنا سببه "(١٥).

٤- موطن القهوة وانتشارها في الأقطار

لا توجد روايات تاريخية مؤكدة حول الموطن الأول لشجرة البن، ومع ذلك يمكن القول إن أول موطن للشجرة هو منطقة كافا في الحبشة حيث عثر عليها بكثرة بين الأعشاب البرية كما كان فيها منذ زمن قديم(١٦).

ومن الحبشة انتقلت إلى اليمن على يد أبي الحسن بن عمر المتوفى سنة ٨٢١/ ١٤١٨ حيث عاش فترة من حياته في الحبشة ثم انتقل إلى اليمن بعد أن كان انضم إلى الطريقة الصوفية الشاذلية. وقد كثر البن في اليمن وحوالي مخا(١٧) وحسنت زراعته، وصار هو أحسن بُنّ يخرج في الدّنيا(١٨). وقيل إنها انتقلت من الحبشة إلى عدن على يد محمد بن سعيد الذُّبحاني المتوفى سنة ٨٧٥/ ١٤٧٠، الذي عرفها عندما كان مقيماً إقامة جبرية على الساحل الأفريقي وعند عودته كرّس نفسه للصوفية ونشر شرب القهوة(١٩). ولا بد من ملاحظة أن البن وجد بمكة المكرمة وغيرها قبل القهوة بسنين كثيرة حيث استخدم للتنقُّل به أي للتسلية به على الشراب من دون القهوة، وكان قشره يرى في قمامات مكة قبل اشتهار القهوة(٢٠).

ومن اليمن انتقلت إلى مكة المكرمة، وثار جدل كبير بين فقهائها حول ما إن كانت حلالاً أم حراماً، وألف علماؤها مصنّفات في حلّ شربها وعدمه(٢١). لكن ذلك لم يمنع انتشارها، وفتح بيوت خاصة لها، وفد إليها الناس لشرب قهوة البن، كما لم يتعرّض أحد لشرّابها حتى شربت في المسجد الحرام، ولم يكن يعمل مَوْلد أو ذكر إلاّ بحضورها، وفشت في المدينة المنوّرة حتى طبخها الناس في بيوتهم(٢٢). وهذا الأمر استدعى إصدار فتاوى من بعض الفقهاء بتحريمها لا بل قاموا هم أنفسهم بتخريب بيوتها ومنهم الشيخ محمد بن علي ابن عبد الرحمن الشافعي(٢٣). وفي سنة ٩١٧/ ١٥١١ صدر قرار من قضاة مكة المكرمة بالاستناد إلى أمر من السلطان المملوكي قانصوة الغوري بمنعها(٢٤).

وانتقلت إلى مصر، فظهرت أولاً في حارة الجامع الأزهر بالقاهرة في العشر الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وقد نقلها إلى مصر اليمانيون في رواقهم بالأزهر، وشاركهم في شربها من سكن معهم في الرواق من أهل الحرمين الشريفين (مكة

والمدينة)، ومن حضر إليهم من عوام الناس في القاهرة. وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة وهم يشتغلون بما يجب عليهم قراءاته من الأذكار والمديح النبويّ(٢٥). ومن ثم انتشر شرب قهوة البن في مناطق أخرى من مصر وشربها عدد لا يحصى من الناس. وبذلك يتضح أن اليمانيين الذين قدموا للدراسة في الأزهر الشريف، أو المصريين الذين زاروا الأماكن المقدسة في مكة والمدينة للحج هم أول من نقل هذه المادة إلى مصر.

وانتقلت قهوة البن إلى بلاد الشام من مكة والمدينة ومصر جراء العلاقات التي كانت تربطها بتلك البلاد في مجالات الحياة كلها. وكان أول ظهور لقهوة البن في دمشق سنة ٩٤١/ ١٥٣٤. إذ قال النجم الغزّيّ في ترجمته لقاضي مكة الشيخ بديع بن الضياء المتوفى سنة ٩٤٢/ ١٥٣٥ أنه خرج من دمشق يوم السبت منتصف ربيع الأول سنة ٩٤١/ ١٥٣٤ بعد أن حضر ليلة الجمعة عند الشيخ علي الكيزواني في مسجد العفيف بالصالحية وسمع المولد النبويّ وشرب هو والشيخ علي الكيزواني وجماعته القهوة البنية(٢٦). ونقل عن أحمد ابن طولون قوله: " ولا أعلم أنها شربت في بلدنا هذه يعني دمشق قبل ذلك، قال وكان عمي الشيخ جمال الدين بن طولون يقول بتحريمها "(٢٧).

وقد أدى ظهور قهوة البن في دمشق إلى إثارة جدل بين العلماء حول ما إن كانت حلالاً أم حراماً. وهاجمها كثير من العلماء وعدّوها مصيبة من المصائب التي حاقت بالبلاد(٢٨). ولكنها انتشرت بسرعة في بلاد الشام ومنها انتقلت إلى تركيا وإيران(٢٩). وقيل إن السلطان سليم الأول حمل البن معه إلى القسطنطينية من مصر بعد أن فتحها عام ٩٢٢/ ١٥١٦، وانتشرت تدريجياً إلى أن ظهرت القهاوي في تركيا عام ٩٦٠/ ١٥٥٤، وكان أهل تركيا يستعملون قشر البن لا لبه(٣٠).

٥- مكتشف قهوة البن

كما اختلف المؤرخون حول زمن اكتشاف قهوة البن وموطنها الأول، اختلفوا حول مكتشفها. وقد تمكنت من رصد الروايات الآتية حول أول من اكتشف قهوة البن:

أ. أول من اكتشف قهوة البن هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذَّبْحاني المتوفى سنة ٨٧٥/ ١٤٧٠، وهذا رأي الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار، كما ورد في عمدة الصفوة للجزيري إذ قال: " ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة (بعد أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر

الميلادي) أن ظهورها (قهوة البن) وانتشارها فيه (اليمن) كان على يد المشهور بالعلم والولاية . . . جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذُّبْحاني . . . نسبة إلى ذبحان بلدة معروفة باليمن "(٣١).

وقد أكد الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار هذا الخبر في رواية أخرى، إذ كتب لصديقه الفقيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الغفار باعلوي، وهو من بيت علم ودين في مدينة زبيد، يسأله عن أول حدوث قهوة البن في اليمن، فكتب إليه جواباً مضمونه: أنه بحث عمّن شربها من أهل اليمن، وسأل جماعة من المعمّرين وأولهم عمّه الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم وعمره قد زاد على التسعين وقت سؤاله، فأخبره قائلاً: " كنت بمدينة عدن فوصل إلينا بعض الفقراء السالكين، وكان يعمل القهوة ويشربها، وأنه كان يعمل للشيخ العلامة خاتمة العلماء بثغر عدن الفقيه محمد بافضل الحضرمي، والشيخ العارف بالله تعالى محمد الذّبحاني ويشربانها بمحضر من الناس، وكفى بهما حجة في ذلك "(٣٢).

وبعد هذا الخبر يخلص الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار إلى أن من المحتمل أن يكون الذُّبحاني أول من أدخلها عدن، كما هو المشهور، ويحتمل أن يكون الذي أدخلها غيره ولكنها نسبت إليه لكونه هو السبب في ظهورها وانتشارها(٣٣).

وقد أكد الجزيري اكتشافها للذّبحاني في رواية ثانية عن مصدر آخر هو العلامة المجيد فخر الدين أبو بكر بن أبي يزيد المكي، إذ قال ما لفظه: " قيل وأول من أنشأها الشيخ الصالح المسلك أبو عبد الله محمد بن سعيد الذُّبحاني "(٣٤).

ويشير العلامة فخر الدين في روايته للخبر إلى أنه علم عن جمع يبلغ حدّ التواتر أن قهوة الكَفْتة المأخوذة من ورق القات كانت معروفة قبل قهوة البن قال: " وأن أول من أنشأها وأظهرها، وبأرض اليمن أشاعها وأشهرها، سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى علي بن عمر الشاذلي . . . وأنها كانت قبل من الكفتة أعني الورق المسمّى بالقات لا من البن ولا من قشره. فما زالت تنتقل من بلد إلى آخر حتى وصلت إلى ثغر عدن المحروس، فعدمت الكفتة من عدن في زمن سيدي الشيخ محمد بن سعيد الذُّبحاني المذكور أولاً "(٣٥).

وهذه الإشارة من العلامة فخر الدين أبو بكر بن أبي يزيد المكي تنفي ما ذكره محقق كتاب العمدة للجزيري، إذ يشير إلى أن الصوفي علي بن عمر الشاذلي المتوفى سنة ٨٢١/ ١٤١٨، هو أول مكتشف لقهوة البن(٣٦)، ولعلّه لم ينتبه إلى هذه الرواية التي تفرّق بين قهوة الكَفْتة وقهوة البن، مع أن الجزيري ينص على أن لا تناقض فيما أورده من الروايات السابقة فقال: "

ولا منافاة بين الكلامين، كما لا يخفى، إذ من نقل الأول رأى إلى القهوة القشرية. ومن نقل الثاني رأى إلى القهوة القاتية "(٣٧).

أما الخبر الذي نقله عن العلامة عبد الرحمن بن محمد العيدروس المتوفى سنة ١١١٢/ ١٧٠٠، في أنفاس الصفوة. في أثناء حديثه عن ظهور القهوة، وهو " كان أول حدوثه ـ أي مشروب القهوة البنية ـ أول القرن التاسع وأواخر القرن الثامن باليمن المبارك ومنشئه الشيخ الإمام الحجة الهمام صاحب المناقب الفاخرة علي الشاذلي بن عمر الشهير بدعسين "(٣٨). فهو خبر بين ناقله وعلي بن عمر الشاذلي ٢٩١ سنة، وهذه مدّة ليست قصيرة، ويمكن أن تؤدي إلى عدم الدّقة، كما أن الخبر لا ينص على نوعيّة القهوة المنسوب إليه اكتشافها.

إب. أول من اكتشفها هو أبو بكر بن عبد الله الشاذلي المعروف بالعيدروس المتوفى سنة ٩١٤/ ١٥٠٩. وقد أثبت له هذا الاكتشاف النجم الغزّي في الكواكب السائرة، إذ قال في ترجمته "وهو مبتكر القهوة المتخذة من البن من اليمن "(٣٩). ثم ذكر قصة اكتشافه لها، إذ كان في أحد الأيام سائحاً في اليمن على عادة الصالحين من الصوفية، فمرّ في سياحته بشجر البن، فأكل "من ثمره حين رآه متروكاً مع

كثرته، فوجد فيه تجفيفاً للدماغ، واجتلاباً للسهر، وتنشيطاً للعبادة، فاتخذه قوتاً وطعاماً وشراباً، وأرشد أتباعه إلى ذلك "(٤٠).

وأثبت له هذا الاكتشاف عدد من الشعراء، فهذا عبد اللطيف بن سليمان ابن أبي كثير المكي المتوفى سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣، قال من قصيدة له يذكر أول من قال في قهوة البن وهو الشيخ العيدروس(٤١):

شاذليّ المخا لها أسَّس ... وهو قطب الزمان
ولها العيدروس قد كيّس ... وابنُ ناصرٍ أعان
وفحول اليمن أولو اليُمنِ ... كأسها يحتسي
وشراب العصير والدّنِ ... منذ جاءت نسي

وفي هذه الأبيات إشارة إلى أن الشاذلي أظهرها من بلدة المخا وأسس لانتشارها، فيما العيدروس استخرج منافعها وأشاعها بين الناس وأعانه في ذلك ابن ناصر. بحيث بات أهل اليمن يحتسونها علناً ونسوا بوجودها شرب العصير والخمر.

أما أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المتوفى سنة ٩٧٥ / ١٥٦٧ ، فقال(٤٢) :

ما طاف بالبيتِ طيفها وسعى إلا وقال الإمام حين دعا: أهلا
وللنّدامى الكرام جهّزها
من خدرها العيدروس أبرزها
وبالمعاني الحسان طرّزها
وهيّم القوم عندما وضعا لها اسم راح ونعم ما وضعا: فعلا

فهذه الأبيات تؤكد ما ورد في سابقتها من أن العيدروس هو الذي أبرزها وأشهرها بين الناس وزيّنها لهم بإظهار منافعها لهم ، وأعطاها اسم القهوة ليهيم الناس بها هيامهم بالخمر ، التي من أسمائها القهوة .

ونقل القاسمي في رسالته خبراً قال فيه إن ابن الحنبلي كتب إلى الشيخ علي بن محمد بن علي بن عراق المتوفى سنة ٩٦٣/ ١٥٥٥ ، وهو بحلب يستفتيه في القهوة أبياتاً ، وأجابه ابن عراق عليها شعراً ، قال فيه(٤٣) :

فابتداء الأمر فيها هكذا وحكوه عن وليّ دون مين

وقد علّق القاسمي على كلمة وليّ فقال : هو أبو بكر بن عبد الله الشاذلي المعروف بالعيدروس ، وذلك استناداً إلى ما ذكره النجم الغزّي في ترجمته له في الكواكب السائرة .

إج . أول من اكتشفها هو الفقيه الصوفي علي بن عمر الشاذلي المتوفى سنة ٨٢١/ ١٤١٨ ، وهو اكتشف القهوة القاتيّة وليس قهوة البن أو قشر البن ، وذلك وفق رواية فخر الدين أبي بكر بن أبي يزيد المكّي التي أوردها الجزيري في إثباته اكتشاف قهوة البن للذُّبحانيّ قال : " والذي بلغنا عن جمع يبلغ حدّ التواتر أن أول من أنشأها وأظهرها ، وبأرض اليمن أشاعها وأشهرها ، سيدنا العارف بالله تعالى علي بن عمر الشاذلي . . . وأنها كانت قبل من الكَفْتة أعني الورق المسمّى بالقات لا من البن ولا من قشره . . . فعدمت الكَفْتة من عدن في زمن سيدي الشيخ محمد بن سعيد الذُّبحاني(٤٤) .

ومن هنا يتضح أن علياً بن عمر الشاذلي لا علاقة له بقهوة البن أو قشره ، وبالتالي فإن نسبة محقق كتاب العمدة اكتشاف قهوة البن أو قشره إليه(٤٥) لا دليل عليها .

ثانياً: الجدل حول تحليل قهوة البن أو تحريمها

ثار جدل كبير بين الفقهاء والعلماء والشعراء حول تحليل قهوة البن أم تحريمها، إذ انقسم هؤلاء إلى قسمين: قسم قال بتحريمها، وآخر قال بتحليلها. ويمكن مناقشة الموضوع كما يأتي:

١- تحريم قهوة البن

أفتى من قال بتحريم قهوة البن بذلك لاعتبارات عديدة أهمها: أنها مسكرة كالخمر، ومضرّة للجسد والبدن الإنسانيّ، ولأنها تشرب من قبل سفهاء الناس، ولأنها تشرب في مجالس تدار فيها كما تدار الخمر، ولأنها تخلط بالمحرّمات من الموسيقى والدّف والرّقص والنساء والغلمان المُرْد، وبوجود الغيبة والنميمة في مجالسها. وقد ورد في تحريم القهوة أو النهي عن شربها أخبار كثيرة في عدة بلدان ويمكن الحديث عن ذلك وفق الآتي:

أ. في مكة المكرّمة

١. الإنكار الأول للقهوة حدث في مكة المكرّمة عام ٩١٧/ ١٥١١، ثم طلب أهلها أمراً سلطانياً من السلطان المملوكي قانصوة الغوري بتحريمها، وقبل وصول الأمر قام أمير مكة خاير بك بتعزير عدد من باعتها وكبس محلاتهم وأخرج ما وجده فيها من قشر البن وأحرقه وسط المسعى في الحرم، فاضطر الناس إلى شربها خفية. لكن الأمر السلطاني جاء على غير المراد حيث علم أنها لم تحرّم، فتجاسر الناس بعد أن أتى الأمر السلطاني. وقال بعض الشعراء في التحريض على أمير مكة(٤٦).

قهوة البنّ حرّمت ... فاحتسوا قهوة الزّبيب
ثم طيبوا وعربدوا ... وانزلوا في قفا الخطيب

والخطيب هو الشيخ شمس الدين الخطيب الذي أغرى أمير مكة خاير بك ومحتسبها بمنع القهوة البنية في مكة.

وقال شاعر آخر(٤٧):

قهوة البنّ حرّمت ... فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا ... والْعنوا من هو السبب

وفي عام ٩١٨/ ١٥١٢ ، قدم إلى مكة الأمير قطلباي صحبة الركب الشريف إلى الحج عوضاً عن خاير بك ، فأكثر من شرب قهوة البن ، فعاد الناس إلى شربها بكثرة ، ولم يعترض أحد على ذلك(٤٨) .

٢ . في عشر الخمسين وتسعمائة / عشر الألف وخمسمائة وثلاث وأربعين . ورد أمر سلطاني عثماني في موسم الحج إلى مكة المكرمة بمنع قهوة البن وإبطالها ومنع باعتها من التسبب بها وإبطال محالها(٤٩) .

ب. في مصر

١ . في سنة ٩١٨/ ١٥١٢ أصدر السلطان المملوكي قانصوة الغوري أمراً بتحريم قهوة البن لأنها تشرب على هيئة شرب الخمر ، ويخلط فيها المسكر . ويغنّى عليها بآلة وتقام حفلات الرّقص ويسكر الشاربون ، وورد في ثنايا الأمر أن ماء زمزم إذا شربت على هذه الهيئة كان حراماً(٥٠) . وبالرغم من أن الفتوى وجهت إلى أهل مكة إلا أن الأمر ينطبق ومن دون شك على مصر .

٢ . في سنة ٩٣٢/ ١٥٢٥ ، أشار محمد بن عراق على حكام مصر بإبطال بيوت القهوة لما يُفعل فيها من منكرات مع تصريحه بحلّها في حدّ ذاتها غير مرّة لغير واحد(٥١) .

٣ . عام ٩٣٩/ ١٥٣٢ ، أفتى الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي بتحريمها استناداً إلى أنها مسكرة ، وفي عام ٩٤١/ ١٥٤٣ ، أكد على حرمتها في مجلس وعظه بالجامع الأزهر ، فخرج عوام الناس إلى بيوت القهوة وكسّروا أوانيها وضربوا من كان فيها ، وحصلت فتنة بين الناس وقيل في ذلك شعر كثير ، منه ما قاله أحد الشعراء في تصوير الفتنة التي أحدثتها تلك الفتوى(٥٢) :

إن أقـــوامـــاً تـعـــــدّوا والـبـلا مـنـهـم تـأنّـى
حـرّمـوا القهـوةَ عمـــداً ورووا إفـكـاً وبُـهـتـا
إن سـألـتَ النّصَ قـالـوا: إن ابـن عـبـد الحـقَّ أفـتـى
يـا أولـي الفضلِ اشربوها واتـركـوا مـا قـال بـهـتـا
ودع الـعـــذّال فـيـهـــا "يـضـربـون المـاءَ حـتّـى "

فالنص يوضح أن الفتوى تعدّ على حرية الناس، ونشر للفتنة والبلاء بينهم، وهي أحدثت ما أحدثته حادثة الإفك المشهورة في عهد الرسول(، ودليل ذلك هو عدم وجود دليل شرعي يستند إليه القائلون بالتحريم إلا فتوى ابن عبد الحق التي لا تساوي شيئاً لافتقارها إلى نص شرعي. ومن هنا فالشاعر يدعو إلى شرب قهوة البن ويحث على ترك كذبة التحريم.

جـ. في بلاد الشام

١. حرمها الشيخ يونس العيثاوي، وأصرّ على إنكارها وألف رسالة في ذلك، وحدث أن صلى والي الشام مصطفى باشا في جامع يزديك (الجامع الجديد) خلف الشيخ العيثاوي ومعه الدفتر دار والأغوات(٥٣). فتعرّض في خطبته لتحريم القهوة، فعقد عليه مجلساً فيه الشيخ أبو الفتح المالكي الذي كان من أشد أنصار القهوة، وقد أنصف القاضي الشيخ العيثاوي. كما وافق على إنكارها عدد من قضاة دمشق وعلمائها ومنهم محمد بن عبد الأول الحسيني الجعفري(٥٤). وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سلطان المتوفى سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣، الذي عدّها من جملة المصائب التي حدثت في زمانه بدمشق وبلاد الشام (٥٥).

٢. في حلب أنكرها عدد من العلماء ومنهم محمد بن خليل بن قنبر، قال النجم الغزّي: " وكان لطيف المحاضرة... شديد النكير على شراب القهوة بالشرط المخالف للشرع "(٥٦).

٣. وفي شوال من سنة ٩٥٣/ ١٥٤٦، ورد أمر السلطان العثماني سليمان خان القانوني بن سليم الأول بإبطالها. ونودي بذلك في عدة مدن من بلاد الشام ومنها دمشق(٥٧)، وفي سنة ٩٦١/ ١٥٥٣، منع الحكام من شرب القهوة فقال الشيخ علاء الدين بن عماد متعرّضاً للشيخ أبي الفتح المالكي وهو من أنصار القهوة بسخرية(٥٨):

قـُل أبـــي الفـتـــح إذا جـئـتـــه　　قـول عـجـول غـيـر مـسـتـانـي
أدرك بني البرش(٥٩) على برشهم　　قـد مـنـعـوا مـن قـهـوة الـبن

وقد أدى انتشار شرب قهوة البن حتى بين السفهاء من الناس إلى دفع بعض العلماء والفقهاء لإصدار دعوة إلى الناس بتجنّب شربها كونها أصبحت مشروباً للسفهاء. فهذا مفتي الدولة العثمانية المولى أبو السعود يقول عندما سئل عن القهوة وقد تقرّر له اجتماع الفسقة على شربها: " ما أكبّ أهل الفجور على تعاطيه فينبغي أن يجتنبه من يخشى الله ويتّقيه "(٦٠). فهو هنا لا يحرّمها في ذاتها، بل يرى أن الأولى تركها حذراً من التشبّه بالفجّار، وهذا

الشاعر علي جلبي بن هلال الحمصي يقول(٦١) :

أقول لأصحابي عن القهوةِ انتهوا ولا تجلسوا في مجلس هي فيه
وما كان تركي شربها لكراهةٍ ولكن غدت مشروب كل سفيه

وهذا الشاعر عبد الواحد بن عاشر الفاسي يقرُّ بأنها حلال وآمنة من الآفات والأضرار لكنه يحذِّر مما يضاف إليها، قال(٦٢) :

يقولون لي قهوة البُنِّ هل تُحلُّ وتؤمَنُ آفاتها
فقلت: نعم هي مأمونة وما الصَّعْبُ إلاّ مضافاتها

وقد سئل عن مضافاتها فقال : هي ما يستعمل معها من المكيّفات التي تشمل البرش والأفيون والحشيش وغيرها من أنواع المخدّرات .

ولم أجد في تحريم قهوة البن شعراً كثيراً يبيِّن أسباب تحريمها، ومضارها بشكل مفصَّل كما هو الحال لمن قال بتحليلها وبيان فوائدها، وأهم ما وجدته من الشعر في بيان أسباب تحريمها هو جواب الشيخ مفتي الشام أبي الفتح بن عبد السلام المالكي لمن سأله عن رأيه في قهوة البن، فقال إن من دعا إلى تحريمها ومنعها يستند إلى أربعة أسباب هي(٦٣) :

فاسمع لما أقول يا مستفتي مقال حِبر في العلومِ ثَبْتِ
إنّ الذي أصبحَ منها يمنع له ثلاث شُبهٍ بل أربع
أوّلها ادعاؤُه الإسكارا وأنّها تستتبعُ الخمارا
وبعده الأضرارُ بالأبدانِ بالبَردِ واليُبْسِ وهذا الثاني
أو هي من الأولى وأما الثالثة وهي على ذمِّ الجهول باعثة
إدارة القهوةِ مثل الخَمْرِ وذا مقال باطِلٌ لعمري
رابعهنَّ خوف من قد ربّما أن يخلطوا بشربها المحرّما
إذن فلا يؤمن عند المنكر من مَزْجها بمسطل أو مسكر
هذا قصارى شبهة الأخصام وغاية التشنيعُ بالأوهام
فخذْ هُديتَ ردَّها مُفصّلاً ونقضَهُنّ أوّلاً فأوّلا

٢- مضار قهوة البن

استند من قال بتحريم قهوة البن من العلماء والفقهاء والشعراء في تحريمهم لها إلى أسباب عديدة أجملها أبو الفتح المالكي في فتواه بتحريمها بأربعة أسباب رئيسة ؛ أولها أنها مسكرة كالخمرة. وثانيها، أنها مضرّة بأجسام الناس. وثالثها، أنها تدار عند شربها كما تدار الخمرة، ورابعها، أنهم يخلطونها
بالمحرّمات.

وجراء ذلك فقد بدأ القائلون بتحريمها بتحذير النّاس من مضار القهوة كي يقنعوهم بعدم شربها، وقد تمكنت من حصر ما قالوه من مضار لها فيما يأتي:

أ. أن الإفراط في شربها إذا نضجت قد يحصل منه لأصحاب الأمزجة اليابسة وبخاصة في الدماغ زيادة في اليبس(٦٤).

ب. أن من يعتاد شربها لا يستطيع تركها، فيحصل له صداع شديد يجد له ألماً قوياً وثقلاً زائداً في الرأس وفتوراً في البدن بحيث لا ينتفع بنفسه(٦٥).

ج. أنها تدار كما تدار الخمر، ويتكلّم عليها كما يتكلّم عليه، ويجمع على مجالسها النساء والغلمان المرد، والغيبة والنميمة، وهذا كله تشبه بأهل الفساد لا بل هو بذاته فساد(٦٦).

د. أنها تفسد الكبد(٦٧).

هـ. أن طبّاخها يشبه المجوس وعباد النار ومن يشربها يبعث يوم القيامة ووجهه أسود من قعور أوانيها(٦٨).

و. تَضُرُّ من يغلب على مزاجه اليُبس، فتحدث له جفاف المنيِّ لما فيها من اليبس، فلذلك تضعفه، لأن مراعاة أحوال المنيِّ لها تأثير في القوة والقدرة على الجماع (٦٩).

ز. تسبب أضراراً عديدة إذ جاوز شاربها المعتاد (٧٠).

٣- تحليل قهوة البن

في مقابل من أنكر قهوة البن وحرّمها من العلماء والشعراء والفقهاء، ظهر عدد غير قليل ممن أفتوا بتحليلها وحثّوا على شربها، وذهب هؤلاء إلى القول أنها شراب طهور مباركة، ولها فوائد كثيرة ذكروها بالتفصيل. وقد أصدروا في حلّها فتاوى عديدة ردّاً على أسئلة كانت

تردهم من عامة الناس وخاصتهم وتحدّث عنها الجزيري مطوّلاً (٧١).

وقد علّق الجزيري على أمر السلطان المملوكي قانصوة الغوري الذي ورد إلى مكة المكرمة بشأن القهوة، بقوله إنه ليس فيه ما يدل على منع شربها وتحريمها في ذاتها، كما أنه لم يمنعها في مصر التي هي مركز حكمه(٧٢).

ونقل النجم الغزّي رأي محمد بن محمد المولى أبي السعود مفتي السلطنة العثمانية في قهوة البن عندما سئل عنها ووصفوا له هيئة شربها فقال: " ما أكبَّ أهل الفجور على تعاطيه فينبغي أن يجتنبه من يخشى الله ويتّقيه "(٧٣). وعلق الغزّي على ذلك بقوله: إن هذا ليس فيه تصريح بتحريمها بل يقتضي أن الأولى تركها حذراً من التشبّه بالفجار، ثم أضاف قائلاً: " والكلام في القهوة الآن قد انتهى إلى الاتفاق على حلِّها في نفسها وأما اجتماع الفَسقة على إدارتها على الملاهي والملاعب وعلى الغيبة والنميمة فإنه حرام بلا شك "(٧٤).

أما في الشعر فقد أكثر الشعراء من القول بحلّها في شعرهم، وحثّوا على شربها وأهم من قال من الشعراء هم:

قال محمد بن محمد بن عراق المتوفى سنة ٩٣٣/ ١٥٢٦(٧٥):

هـذه القـهـوةُ هـذي هـذه المـنْـهِـيُّ عَـنْـهـا
كيف تـدعـى بحـرامٍ وأنـا أشـربُ مـنـهـا

وقال عبد اللطيف بن أبي كثير المتوفى سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣ من موشح قاله في القهوة(٧٦):

شربها بالقياس والإجماع مـسـتـحـلٌّ مـبـاح

وقال أبو الحسن محمد بن محمد البكري الصديقي المتوفى في عشر الستين وتسعمائة / عشر الألف وخمسمائة واثنتين وخمسين من قصيدة يذكر فيها حلّ قهوة البن(٧٧):

كاللبن الخالص في حلِّهِ ما فارقته بغير السوّادِ

وقال أبو الفتح المالكي المغربي المتوفى سنة ٦٧٥/ ١٥٦٧ من قصيدة طويلة أجاب فيها على من سأله عن القهوة، وفنّد فيها أسباب تحريمها عند من قالوا بالتحريم، وذكر كثيراً من فوائدها، قال (٧٨):

أقـول والله هـو المـوفـق وإنّـمـا بـه تـعـالـى أنـطـقُ

يا سائلي عن قهوة البن التي كم من فتى على هواها ما فتى
ســألت عنهـا وبهـا خبيرا فاستمع التحقيقَ والتَّحريرا
واعلم على طريقة الإجمـال بـأنـهـا مـن جـمـلـةِ الحـلال

وقال من موشح أشار فيه إلى يونس العيثاوي الذي تجادل معه حولها(٧٩) :

أنا أفتي بمقتضى الظاهـر أنـــهـــا مـــغـــنـــم
ليتَ شعري من أين للماهر أنـــهـــا تحـــرم

وقال أيضاً(٨٠) :

أقـول لقـومٍ قهـوةَ البنّ حـرّمـوا مـقـالـة مـعـلـوم المـقـامِ فـقـيـه
فلو وصفت شرعاً بأدنى كـراهـةٍ لما شُربت في مجلس أنا فيه

وقال محمد بن محمد بن عماد الدين الصالحي المتوفى سنة ٩٨٦/ ١٥٧٨(٨١) :

هذه القـهـوةُ الحـلال أتـتـكـم تـتـهادى والطيبُ يعبقُ منها
سـوّدوهـا على الحـرام بحـلٍّ وأماطوا غوائل الغولِ عنها

وقال إبراهيم بن المبلط القاهري المتوفى سنة ٩٩١/ ١٥٨٣(٨٢) :

أرى قهوة البنِّ في عصرنا على شربها النّاس قد أجمعوا
وصارت لشرّابها عادة فليست تضرُّ ولا تنفعُ

فالقهوة عند شاعرنا أصبحت محطّ إجماع الناس على شربها، كما أنها أصبحت عادة لديهم يشربونها من دون النظر إلى ضررها أو نفعها.

وقال عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي(٨٣) :

يقولون لي قهوة البنِّ هل تُحلُّ وتؤمن آفاتها
فقلت نعم هي مأمونة وما الصعبُ إلا مضافاتها

فالشاعر هنا يبين أنها حلال مأمونة الخلو من الأضرار، وأن ما يضرّ هو ما يضاف إليها وهو المكيّفات.

وقال زين العابدين علي بن محمد البكري الصديقي المتوفى سنة ١٠١٣/ ١٦٠٤(٨٤):

اسقنا قهوة غدافيّة اللو ن حلالاً تفرّج الهمَّ عنّا

فهذا الشاعر الصوفي يحث غلامه على أن يسقيه قهوة سوداء اللون وهي حلال لا حرمة فيها لتفرّج همومه.

وقال نجم الدين الغزّي المتوفى سنة ١٠٦١/ ١٦٥١ من قصيدة ردّ فيها على سؤال ورده يطلب منه صاحبه الحكم في قهوة البن، قال(٨٥):

أيها السائل الذي جاء يرجو عندنا أن نبيحه شُرْبَ قهوه
قهوة البنّ لا تكونُ حراماً إنّها لا تفيدُ في النّفس نشوه

فهو هنا يحلّها لأنها لا تبعث في نفس شاربها النشوة التي تحدثها الخمر، ثم يواصل فتواه فيحرّمها في بيوت القهوة لما يرافق شربها من مجون ومحرّمات، لكنه في المقابل يبيحها إن شربت في بيوت الناس، قال:

غير أنّ الذي يجيء بيوتاً هي فيها تدار عادم نخوه
إذ يرى المُرْدَ والمعارف والنّرد وكلٌّ يلهو فيتبع لهوَه
ثم لم يقوَ أن يغيِّر نُكراً خشيةَ أن يُعَدَّ ذلك هفوه

إلى أن يقول:

وإذا شئت شرب قهوة بنٍّ حسوة قد أردتَ أو ألف حسوه
فليكن ذلك وسط بيتك مهما لم تشب صفوها بموجب صبوه
واذكر الله أولاً وأخيراً وتوثّق منه بأوثقِ عروه

يتضح مما سبق أن قهوة البن حلال في ذاتها، ولا حرمة فيها، ولا دليل شرعي يستند إليه من قالوا بحرمتها. لكنها تحرّم إذا شربت في مجلس فيه منكرات من مثل: العزف والدف والنّرد والرقص والغناء، ومرافقة النساء والغلمان المرد، والغيبة والنميمة أو أديرت في شربها

كما تدار الخمر . أو إذا مزجت بها أشياء منكرة محرمة كالمكيّفات والمخدّرات(٨٦) .

٤- فوائد قهوة البن

ذهب من قال بحلّ قهوة البن بأنواعها إلى ذكر فوائدها التي ثبتت لهم جراء التجربة الشخصية لمن داوموا على شربها ، وقد أوردوا تلك الفوائد في أشعارهم التي نظموها لحث الناس على شربها في مواجهة من قالوا بتحريمها وقالوا شعراً لحث الناس على الامتناع عنها ، وتحذيرهم من آثارها المضرّة لهم .

وقد قرن القائلون بحل القهوة من أهل الصلاح باليمن اسمها بأحد أسماء الله جلّ شأنه وهو القوي ، وذلك استناداً إلى أن عدد حروف (القهوة) بحساب الجمل يساوي ١١٦ وكذلك عدد حروف (القوي) . وإن المناسبة من الموافقة في حساب الجمل مع ما في بركة اسم الله (القوي) من ذهاب الضرر وحسن عاقبة الأثر والتقاوي بخير البشر ، كما قرنوها بما ورد في كتب السنة عن بركة ماء زمزم وهو " ماء زمزم لما شرب له " وعن بركة قراءة سورة الفاتحة في القول " فاتحة الكتاب لما قرئت له " . وأن القهوة جمعت سرَّي الفاتحة وماء زمزم(٨٧) . إلا أن الجزيري يرى أن ما سبق إنما هو شطحة لا يجب أن تروى ، وأن الأفضل تفسير قولهم " قهوتنا لما شربت له " وفق الحديث الشريف " إنما الأعمال بالنيّات " ، فمن شرب القهوة على نيّة أداء العبادة أو الذكر بها ألجأته القدرة الإلهية إلى استعمالها بسبب من الأسباب(٨٨) .

ويمكن إجمال الفوائد التي ذكرت في الشعر لقهوة البن فيما يأتي :

أ. دوام السّهر وطرد الفتور والكسل والنوم.

هذه هي الفائدة الأولى لقهوة البن التي لاحظها مكتشف قهوة البن في اليمن واستعان بها لقضاء عبادته وأذكاره ، وقد لاحظ من شرب قهوة البن أنها أفضل منجد للمرء الساعي للخير في حياته . فهي تبعث في شاربها نشاطاً لا مثيل له ، حتى إنها تمكنه من المبيت على قدميه خاشعاً مبتهلاً إلى ربّه ، ومن القيام بما يريد من عمل أو ذكر أو عبادة أو سهر في تلاوة ورد أو في صلاة التهجّد أو دراسة للقرآن أو أي علم ذي فائدة ، لا بل هي عند بعضهم مفتاح الهمم الإنسانية ومثيرها لعمل الخير والعبادة .

قال أبو الفتح المالكي في معرض ذكره فوائد قهوة البن في أثناء ردّه علي القائلين بحرمتها بحجة أنها مسكرة(٨٩) :

هـل وجـدَ القومُ لها منْ أَثـرٍ سوى انتفاع بدوام السَّهر
بـل صـحّ أن القهـوةَ المكرّمـةَ تـفـعـل ضـدّ هـذه المحـرّمـة
من طرد نومٍ وفـتـور وكسـل وكل ما رامَ بـه المرؤ حَصَل
مـن عمـلٍ أو ذكـرٍ أو عـبـادة أو درسِ قـرآنٍ أو اسـتـفـادة
أو سـهـرٍ فـي وردٍ أو تهـجـدٍ فهي لباغي الخير خَيْرُ مُنجدِ

وواضح من هذه الأبيات أن أبا الفتح المالكي الذي كان من أشد الداعين لشرب قهوة البن والقائلين بحلّها والمدافعين عنها، أنه جمع غالبية فوائدها الناتجة عن فعل النشاط الذي تبعثه في نفس الإنسان، وهو قد ركّز في ذلك على الأعمال الدينية والخيِّرة المفيدة للإنسان، وحشد فيها عدداً من الألفاظ الدينية ليبعث الطمأنينة في نفس قارئها، وبخاصة أن من قالوا بحرمتها ركّزوا على النواحي الدينية.

وهذه الفوائد التي ذكرها في الأبيات السابقة دفعته للدعوة إلى شربها، من خلال تقديم نفسه قدوة لغيره في المداومة على شربها. قال في موشّح مردوف يبيّن أنها تذهب النعاس في الليل شديد الظلمة بعدما حثّ صديقيه على اسقائه إيّاها صرفة غير مشوبة بما يخلط بها من المحرّمات التي يحتج بها القائلون بحرمتها(٩٠):

اسْقيـانـي قُهـيـوة الـبـنِّ صـــرفـــة الأكـــؤوسِ
كيْ أميطَ الكرى عن الجفـنِ فـــي دجـــى الحـــنـــدَسِ

ثم قال: إنه يشربها اقتداء بالأولياء الصالحين من الصوفية الذين حرصوا على شربها في دروسهم (٩١):

أنا بالأوليـاء لـي أُسـوةٌ فـي اغـتـنـامِ الأجـورِ
بارتشافي في درسي القهوة بـالـهـنـا والـسـرور

أما الجزيري صاحبَ كتاب عمدة الصفوة فأكد بعثها النشاط في نفس شاربها، وأنها المفتاح الذي يبعث همم الناس للعبادة والمداومة عليها، وجاء تأكيده بأسلوب بديعي جميل، هو أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذّم، قال(٩٢):

لا عيبَ فيها سوى تنشـيـط شاربهـا وفي العبـادة مفتـاح لـذي الـهِمَمِ

ففعلها في نشاط لا يُعاد لُها فيه سواها ومشفاةٌ من السَّقمِ

وفي معنى العبادة نفسه قال الفقيه محمد بن شرف اليمني(٩٣):

تُعينُ أهل قيامِ اللّيل إنْ كَسِلوا عن القيامِ وتنفي عنهم الكَسَلا
منْ يحتَسِي شُرْبَةً منها يبيتُ على أقدامِهِ خاشعاً للهِ مُبْتَهِلا

وهذا الفقيه شهاب الدين الجيلي يؤكد أنها تقرِّب شاربها إلى الله جراء مساعدته على السَّهر والذكر، قال يحث على شرّبها(٩٤):

واشربوها فإنّها تدني للحمى الأقدسِ

أما الإمام الصوفي علي بن عراق، فهي عنده مشروب أهل التّقوى يشربونها ليلاً لتساعدهم في مناجاة الله، قال(٩٥):

والصَّفا في شربها مع فئة أخلصوا التّقوى وشدّوا المئزرين
ثمَّ ناجوا ربّهم جُنْحَ الدُّجى بخشوع ودموع المقلتين

اب. فوائد نفسية ومعنوية

ركّز الشعراء والفقهاء والعلماء ممن قالوا بحلّ قهوة البن على قضية ذاتية مهمة لدى من يشربونها، وهي الناحية النفسية والمعنوية لهم، فقهوة البن عندهم تحقق فوائد عديدة في هذه الناحية، إذ أن شربها يفرّج الكروب ويزيل الأكدار، والهموم والأحزان من الصدور. ويُشفي النفوس مما يلازمها من انقباض وغمّ وحزن، لا بل إنها تشرح قلب شاربها، وتجلو الهموم عنه، وتبعث الصفاء في النفوس بعامة.

ومن خلال الفوائد السابقة فإن شارب قهوة البن يبدو هانئاً مسروراً، وقد انبسطت أعضاؤه واستراح بدنه. قال الشيخ محمد بن محمد، أبو الحسن البكري المتوفى سنة ٩٦٥/ ١٥٥٧، من قصيدة يبيّن فيها بعض فوائد قهوة البن(٩٦):

أقولُ لمن قدْ ضاقَ بالهمِّ صدرُهُ وأصبحَ من كَثْرِ التَّشاغلِ في فكْرِ
عليك بشُرْبِ الصّالحين فإنّهُ شرابٌ طهورٌ سامي الذّكرِ والقَدْرِ
فمطبوخُ قِشْرِ البن قد شاعَ ذكْرُهُ عليكَ بهِ تَنْجو منَ الهمِّ في الصَّدر
وخَلِّ ابن عبد الحقِّ يفتي برأيه وخذها بفتوى من أبي الحسن البكري

وقال وجيه الدين بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد العمودي المتوفى سنة ٩٦٧/ ١٥٥٩ في بيان فوائدها(٩٧):

وتشرَحُ القلبَ والأعضاءَ تبسطُها وتُذهبُ الهمَّ والأحزانَ والكدرا
فاشْرَبْ فدَيْتُكَ منها ما قَدِرْتَ لَهُ وقُمْ نَصَحْتُكَ بالأسمارِ ما يَسَرا
واخْلُصْ لدى نية مهما شربتَ لها وكُنْ كيساً بها الخيرات مُدَّخِرا
واقتَدِ [في] (٩٨) شربها مِمَّن مضى خلَفاً ذوي الصّلاحِ ولا تَقْتَدْ بمَنْ خَسِرا
واسألْ إلهكَ أنْ يفضُل برحمتِهِ على نَبِيِّكَ خَيْرِ الخلقِ والبَشَرا

أما عبد اللطيف بن سليمان باكثير المتوفى سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣، فقال في موشح عدّد فيه بعض فوائد قهوة البن، إنها مرهم الحزن وبلسمه الشافي للنفوس فيتركها طَرِبةً مرتاحة(٩٩):

قهوةُ البن مرهمُ الحزن وشفا الأنْفُسِ
فهي تنفي... الأشباع والكرب والرياح
وتنيل الحواس والأسماعَ طرباً وارتياح

وقال العلامة أبو بكر بن أبي كثير يحثُّ على شربها باعتبارها وسيلة لراحة الأجساد وإرواء القلب وجلائه، ومفرّجة للكروب صغرت أم عظمت. لا بل إنها تشرب وسيلة للتسلية مع الأصدقاء والخلاّن(١٠٠):

صاحِ بادِرْ لراحة الأبدانِ وارْونِيْها الجنان
وتسلّى بها وبالنّدمان عن نبات الزمان
تُفْرِجُ الكَرْبَ قلَّ أو جـ لا يا لها من جُلا

وذهب أحد الشعراء إلى تعميم فائدة قهوة البن في هذا المجال مكانياً، فهي عنده تبعد الهمَّ والحزن عن حانات شربها، ومن وجد فيها، قال(١٠١):

لا يوجد الغمُّ بحاناتها قد خضعَ الغمُّ لسلطانها
بمائها نَغْسِلُ أكْدارنا ونَحْرِقُ الهمَّ بنيْرانها

أما الجزيري فقد ذهب أبعد من الشاعر السابق في تعميم فائدتها على مكان وجودها، فالأحزان والهموم لا تستطيع الحضور إلى أيّ مكان وجدت فيه قهوة البن، قال(١٠٢):

سمـراءُ لا تَنْزِلُ الأكـدارُ سـاحـتـهـا ... تُشْفِي من النّومِ أو عرف بذا نـعـم

وقال مثل ذلك شهاب الدين الجيلي، وزين العابدين بن محمد البكري وغيرهما(١٠٣).

جـ. فوائد تظهر على وجه الإنسان ولونه ورائحته

لم يكتف بعض الشعراء ومن قالوا بحلِّ قهوة البن بما سبق من فوائد بل ذهبوا إلى حدّ القول بأن شاربها يشرق وجهه وتطيب رائحة فمه، قال الشاعر شهاب الدين الجيلي المكي (١٠٤):

وشـذاهـا يطيّب الأنفـاس ... سـيَّـمـا فـي الـصَّـبـاح

وقال عبد اللطيف باكثير(١٠٥):

فهي تكسو شقائق الحسن ... مَـنْ لـهـا يَـحْـتَـسِـي

أما الجزيري فأشار إلى أن شاربها يتغيّر لونه، فيبدو مشرقاً، بعدما يذهب الغمُّ عنه، قال(١٠٦):

تفيد في اللون إشْراقاً حرارتُها ... وتذهبُ الغـمَّ في بدءٍ ومُخْتَتَمِ

د. فوائد طبية

نسب عدد من الشعراء الذين قالوا بحلّ قهوة البن إليها فوائد طبية كثيرة بحيث يثير سرد تلك الفوائد نوعاً من الدّهشة والتساؤل عن مدى صحة بعض تلك الفوائد. وما إن كانت تلك ناتجة عن رأي طبي علمي، أم من باب الدّفاع عنها في وجه من قال بتحريمها.

وقد أجمل الشاعر والإمام مفتي الشام أبو الفتح بن عبد السلام المالكي عدداً كبيراً من فوائدها في قصيدة طويلة، ردّ فيها على الادّعاءات التي دفعت من حرّموها إلى القول بتحريمها، وهي أربعة، أحدها أن من طبعها اليُبس والبرودة، فأكد أن هذا الطبع في شيء لا ينشأ عنه تحريم حلال الجنس واستشهد على ذلك بلحم البقر، فقال(١٠٧):

ألا ترى أن لحوم البقر ببردها ويُبْسِها المُشْتَهر
ومن يقل بجهله لحم البقر محرّم لضرّه فقد كفر
لأنه قد صادمَ القُرآنا وقال زُوراً وأتى بهتانا
وكم عقاقيرٌ وكم من أدوية ببردها ويبسِها مقوِّية
وكم غذاء باردٍ ويابسٍ ونفعه يذكَرُ في المجالس

وبالرغم من نفيه للبرودة واليبس عنها هنا فإنه أثبته لقهوة قشر البن وليس لقهوة البن، قال(١٠٨):

وليس وصفها لدى الحذّاق بالبرد واليُبْسِ على الإطلاق
بل ذاك طبع القهوة القشريّة فقط وأما القهوة البنّيّة
فإنّها في غاية الحرارة وبقي الكلام في الإدارة(١٠٩)

أما فوائدها الطبيّة التي ذكرها أبو الفتح المالكي وغيره من الشعراء فكثيرة، منها: أنها تبرئ العلّة، وتذهب الصداع، وتذيب الباسور والحصاة والبلغم وتذهبها، وتساعد في هضم الطعام، وتمنع القيء، وتشفي المعدة من الداء، وتذهب الرياح من الأحشاء، وتزيد الشهية للطعام، وتنفع في معالجة رمد العيون وجرب الجفون، وغيرها، قال(١١٠):

بل نفعها وفضلُها عظيمُ وإنّما يعرِفُهُ الحكيمُ
فمنهُ أنها تذيبُ البلغَما وتمنعُ القيءَ وتنفعُ الغَما
وتقطعُ الرطوبةَ الغريبة وكم لها منفعةٌ عجيبة
من البواسيرِ وداءِ المعدة وطَرْحِ ريحٍ في الحشاءِ ممدَّه
وتذهبُ القولنجَ والصداعا إنْ كانَ من حرارةٍ لذّاعا
وهي من المهضِّمات للأكلِ بشربها في الغدواتِ والأصلِ
تنبِّه الشهوة للغذاءِ وتمنع الطّرفَ من الإغضاءِ
ونفعُها من بعض أنواعِ الرمد وجَرَبِ الجِفنِ صحيحٌ يُعتمدْ
وتمنع الأبخرة الرَّديّة عن الدِّماغِ سيَّما عشيّة
لأجلِ هذا بعثت على السَّهرِ وصَقَّت الحواسَ عن كُلِّ كدرِ

وقال الجزيري في ذكر بعض فوائدها من قصيدة قالها في تحليل قهوة البن والحث على الذهاب إلى حاناتها وشربها لاغتنام فوائدها التي منها: إزالة الحصى والصداع والبلغم والبواسير وتحريك شهوة الجماع وزيادة القدرة عليه(١١١):

وللحصاةِ معَ الإدرارِ ثق بشفا ... وللصّداعِ ففيها أيُّ معتصمِ
تنشّف البلّة الرطبا في معد ... وللبلاغمِ قل ما شئت إن تدمِ
وفعلُها في بواسير تداوله ... أهل التجارب حتى صارَ كالعلمِ
وفي المزاج لمرطوب المزاج تزد ... حتى يرى ذاكَ في فعلٍ وفي عدمِ

وقال الشاعر أحمد العناياتي النابلسي من قصيدة له، يبيّن أنها تفيد في إزالة الصداع(١١٢):

قهوة لا صداعَ فيها نعمْ فيـ ... ـها مزيلٌ من الصداعِ مريحُ

وقال الإمام الشيخ عبد اللطيف بن سليمان باكثير المتوفى سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣ في ذكر فوائدها وأنها تزيل الباسور والبلغم وتساعد في هضم الطعام(١١٣):

ولذي الباسور والبلغم ... طبعها حاسم
وهي تنفي صراير الإشباع ... والكرب والرياح

وقال أحد الشعراء يبين أنه لا شيء يهضم الطعام مثلها، ويحث على شربها(١١٤):

ما يهضم الزّادَ سوى قهوةٍ ... فقَرِّبوها نَحْوَنا واقْرَبوا
ولا تخافوا الإثمَ في شُرْبها ... فالله قَدْ قال كُلوا واشربوا

ثالثاً: مدح قهوة البن

بعد ذكر فوائد قهوة البن، لا بد من الإشارة إلى أن من قال بحلّها وعدّد فوائدها، قد مدح قهوة البن وتَغَزّل بها، وحبَّبها إلى نفوس الناس بصور شتى، وكثيرة، ومن أهم ما قيل في مدح قهوة البن:

قال الشيخ محمد البكري، وينسب للشاعر محمد ماماي الرومي، على لسان قهوة البن

تتغزّل بنفسها(١١٥):

أنـــا المعشوقـةُ السَّمـــرا وأُجْلـى فـي الـفـنـاجـين
وعـودُ الهنـدِ لـــي طيـبٌ وذكـري شـاع فـي الـصـين

وقال الجزيري، إنها شراب كريم طيب المورد، يشربه أهل الله (الصوفية) وهي مع مذاقها المرّ فإنها حلوة الفكاهة، وهي حلال خالص(١١٦):

أكرمْ بها منْ شرابٍ طابَ مـــوردهُ إلـهـام آلِ طـريـقِ الـلـه إن ثَـرُمِ
حلـوٌ فكاهتهـا، مُـرٌّ مـذاقتهـا حلٌ مساغتها في الحكم فاحتكم

وهذا الشاعر أحمد العناياتي النابلسي يتغنّى بها وهي سوداء مصانة في الفنجان الصيني من خلال تشبيه الشفاه السمراء عندما تبتسم فتلوح الأسنان البيض بها، وأنها تشرب في ليل الوصل وصباح اللقاء مع الأحبة، وقد زاد قلب التشبيه من جمال المعنى في البيت الأول، قال(١١٧):

صِيْنَ في الصِّين مِسْكُها فحكاها لَعَسٌ في بياضِ ثَغْرٍ يلوحُ
ليلُ وصلٍ في صبحِ لُقْيا حبيبٍ طابَ منها غبوقُها والصَّبوحُ

وقد تغنى عدد من الشعراء(١١٨) بقهوة البن، وحثّوا على شربها مرّات مع الإخوان والأصدقاء، وبذل نفيس المال في سبيلها كالفضة والذهب. وشبّهوها في سوادها وسط الفنجان الأبيض ببؤبؤ العين الأسود وسط محيطه الأبيض، فهذا الشاعر إبراهيم بن المبلط يقول(١١٩):

يـا عائباً لسوادِ قهـوتنـا الـتـي فيها شفاء النّفسِ من أمراضها
أو ما تراهـا وهـي فـي فنجانـها تحكي سواد العين وسط بياضها

وقال النجم الغزّي (١٢٠):

إشرب من القهوةِ صاعين ولـو بـبـذلِ الـورقِ والـعـينِ
سوداء في بيضِ فنجانها كـأنّـهـا الإنـسـان ومـن عـينِ

وهذا عبد الملك بن جمال الدين الاسْفراييني يشبّه القهوة السوداء في الفنجان الأبيض بالعين المكحولة، والدّخان الصاعد منها لحظة صبِّها في الفنجان بأهداب تلك العين التي تزيدها جمالاً، وذلك في تشبيه بديع جديد، قال(١٢١):

فنجانُ قهوةٍ ذا المليحُ وعينهُ الـ ـكحلاءُ حارت فيهما الألبابُ
فسوادها كسوادها وبياضُها كبياضِها ودُخانُها الأهدابُ

ومثل هذا التشبيه قاله أحمد بن عبد المعطي المكي، فالقهوة تثير إعجابه وهي تصب في الفنجان الصيني الأبيض فيطيب له شربها، ويشبهها بالعين المكحولة ودخانها بالأهداف(١٢٢):

للـــه محكم قهوةٍ تجلى لنا في أبيضِ الصينيّ طابَ شرابُها
فكأنّما هي مقلةٌ مكحولةٌ دُخانُها من فوقها أهدابها

أما أبو المواهب البكري، فقد تحدّث عن فنجان القهوة في يد الساقي، فقال إن القهوة في الفنجان يحمله الساقي غزال تفوح منه رائحة المسك، وحبابها الشبك الذي يمنع ذلك الغزال من الهرب، قال(١٢٣):

وقهوةٌ تنضحُ مسكاً ولا بِدْعَ ففي الفِنجان شكلُ الغزالْ
حبابُها من فوقها مانعٌ نِفارُهُ فهو شباكُ الّلالْ

أما الشاعر محمد ماماي الرومي فقد شبّه لونها بالمسك وإقبال الناس عليها كما يقبلون على اللبن المخيض في الزبادي. قال (١٢٤):

لونها قد حكى أذايبُ مسكٍ أو زبادٍ وسطَ الرّباد الجليّهْ

وقال في مكان آخر(١٢٥):

كأسها البدرُ والحبابُ نجومٌ وهي ليلٌ تُجلى بكفِّ الثّريّا

فهو جمع أربع صور للقهوة وإنائها في تشابيه بليغة جميلة وبديعة، فكأسها بدر، وحبابها نجوم وتلك تظهر في القهوة التي هي ليل في سوادها، يزيد جماله ظهور الثريا فيه والتي هي يد الساقي.

وأما محمد بن محمد بن عراق المتوفى سنة ٩٣٣/ ١٥٢٦ فقد جعلها العنبر في الأيدي، ولونها لون المسك وهي تشرب بالزّبادي، قال(١٢٦):

لشاربِ قهوةِ البنِّ النَّـغـادي فسِرُّ شَرابها في الكونِ بادي
لها عرفِ العنابر في الأيادي ولونِ المسكِ تُشرَبُ بالزّبادي

والشاعر عبد المعطي بن حسن بن عبد الله المكي المتوفى سنة ٩٨٩/ ١٥٨١، يرحب بالقهوة الصافية، ويشبهها في سوادها وبياض فنجانها بالعين الكحلاء، قال(١٢٧):

أهلاً بصافـي قهـوةٍ كالأثـمـدِ جليت فزانت بالخمارِ الأَسْوَدِ
لما أُديْرَتْ في كؤوسٍ لُجَيْنـهـا بيمين ساقٍ كالقضيبِ الأملَدِ
يحكي بياضَ إنائها وسوادها طرفاً كحيلاً لا بكُحلِ المروَدِ

وهذا غرس الدين الخليلي يحث على شربها مفضلاً إياها على الخمر، ويشبّه حبابها بعقد من الياقوت على عنق حسناء، قال(١٢٨):

دعِ الصهباءِ واشربْ صفوَ قِشْرٍ مشعشعة تدورُ بكفِّ بدرِ
وان شئت الصفا بادر سريعـاً إلى حانٍ لها قَدْ حانَ بدْري
كـأَنَّ حُبابُهـا المنظـومُ عـقـدٌ من الياقوتِ يُجْلَى فوقَ نَحْرِ

أما الشاعر أحمد بن شاهين الدمشقي، فالقهوة عنده شيء جميل تنقّل في تشبيهه سريعاً لأنها ملكت عليه نفسه، فهي عنبر مسحوق، وسوداء مثل عين العشيقة، ورائحتها كالمسك، وطعمها كرحيق الزَّهر، وهي وسيلة لجمع الأصدقاء، قال(١٢٩):

وقـهْـوةٍ كالعَنْبـرِ السَّحـيْـقِ سوداءُ مثل مقلة المعشوقِ
أتت كـمسـكٍ فـائـحٍ فـتـيـقِ شبَّهْتُها في الطّعم بالرّحيقِ
تُدني الصديقَ من هوى الصد يق وتربطُ الودَّ معَ الرَّفيقِ

وقال شاعر آخر يمدح القهوة بأنها أحلى من المنِّ ومن العسل(١٣٠):

أَرْسـلْ إلـينـا قـهـوةً نُطفي بـها جَمْرَ الكَسلْ
فإنَّها أحلى مِنَ المَـنِّ ومـن طَـعْـمِ الـعَـسَـلْ

١- شيوع قهوة البن وانتشارها

بعد كل ما سبق من مدح القهوة والغزل بها، شاع شربها بين عامة الناس وخاصتهم وجاهر كثيرون بشربها لا بل والإدمان عليها، فهذا غرس الدين الخليلي الأنصاري، يقول(١٣١):

سأُدمنُ شُرْبَها ما دمتُ حيّاً ... ولا أُصغي إلى زيدٍ وعمرو
فرأيي الآنَ يا مَنْ رام نُصْحِي ... إذا شاهدتها في الحانِ فَاجْرِ
ولم لا وهْي مَشْروبُ العَوالي ... مِنَ السّاداتِ في برٍّ وبحرِ

أما إبراهيم بن المبلط فقال في قصيدة ذكر فيها وليمة عظيمة أقامها الشيخ جمال الدين محمد بن محمد البكري في القاهرة بمناسبة طهور أولاده سنة ٩٧٤/ ١٥٦٦ أنه أديرت في الوليمة قهوة البن للحضور فشربوها شراباً طاهراً، وأن من يشربها جهاراً بات لا يجد إنكاراً عليه من أحد، قال(١٣٢):

ولكم قد أُديرَ قهوةَ بنٍّ ... وسُقينا منها شراباً طهورا
مَن تعاطى منها شهاراً جهاراً ... لا يرى في الورى عليه نكيرا

وقال إن الناس في عصره أجمعوا على شرب قهوة البن، وأصبحت عادة عندهم لا يفكّرون في مضارها ومنافعها(١٣٣):

أرى قهوةَ البُنِّ في عصرنا ... على شُرْبها الناسُ قد أَجْمَعوا
وصارت لِشُرَّابها عادة ... فليست تضرُّ ولا تنفعُ

والشيخ علي بن محمد بن عراق الصوفي أشهر شرب قهوة البن بدمشق فاقتدى به الناس وكثرت حوانيتها فيها من بعده، وذلك بالرغم من أنّ والده كان ينكرها إنكاراً شديداً وخرّب بيتها بمكةَ المكرّمة(١٣٤). والشاعر محمد ماماي الرومي قال على لسان قهوة البن: إن ذكرها شاع فوصل الصين(١٣٥)، وبلغ شيوع قهوة البن حدّ أنها كانت تقدم على ولائم الحكام، واستخدمت من قبل إبراهيم باشا والي مصر سنة ١٠١٣/ ١٦٠٤، وسيلة لقتل الشيخ الصوفي زين العابدين بن محمد البكري الصديقي، من خلال وضع السمِّ فيها(١٣٦).

ومن باب رياضة الذهن والتسلية استخدم اسمها في الألغاز الشعرية، فهذا الشاعر مصطفى

بن الضمدي اليمني يكتب مقطوعة شعرية يلغِّزُ فيها إلى القهوة ويرسلها إلى صديقه صلاح بن أحمد الشرفي، فيقول(١٣٧):

وجـاريـةٍ سـوداءَ إن هـيَ أَسـْفـرَت ... يـقـبِّـلُـهـا أهـلُ المـروءةِ والـنُّـهـى
إذا ما اشْتَهـى ظـلـمَ الحبيبةِ عـاشـقٌ ... فمجموعُها ظُلَمٌ لـعمريَ مُشْتَهى
إذا بـردَتْ أحشـاؤهـا طـال مكـثُـهـا ... وإن أصبحت محمومة طابَ صبُّها
وإن ذكـرَ الأحـبـابُ طيبَ أصـولِـهـم ... ليفْتَخِروا فالرَّشْفُ بالقلبِ أَصْلُها
وإن سُقيتْ من خالصِ المَحْضِ شربـة ... تَسارعَ فيها الشَّيْبُ وابيَضَّ جِسْمُها

٢- أدوات شرب قهوة البن

كان من نتيجة شيوع شرب القهوة بين عامة الناس وخاصتهم أن تنوّعت أدوات شربها، وقد ظهر لي وجود ثلاثة أنواع من الأدوات التي كانت تشرب بها وهي:

أ. أدوات يشرب بها خاصة الناس من الأثرياء والأمراء وأهل الحكم، وهي الصيني. قال الجزيري: " وقد يشربها في الصيني أهل الجِدَة "(١٣٨). وقال أحمد بن عبد المعطي شعراً(١٣٩):

للـه محكـم قـهـوة تجلّـى لـنـا ... في أبيضِ الصينيّ طابَ شرابُها

ب. أدوات يشرب بها عامة الناس، وهي السكارج من الفخّار، قال الجزيري: " فإن القهوة في الغالب إنّما تشربُ في سكارج الفخّار "(١٤٠).

ج. أدوات عامة لم أستطع تحديد من يشرب بها، وهي الكؤوس والدّن(١٤١)، كما كانت توضع في أوعية خاصة كبيرة، وهي الماجور المصنوع من الفخار الأحمر، وكانت الصوفية تستخدمه لحفظ القهوة في مجالسها، وتغترف منه ليسقى أعضاء المجالس بالكؤوس أو السكارج الصغيرة(١٤٢). والأباريق الخاصة، وكان بعض الناس يضع قهوة البن فيها ويحملها معه في رحلاته الطويلة أو القصيرة كي يشربها وقتما يريد ويبدو أن ذلك كان جراء التعلق بها والإدمان عليها(١٤٣). كما كانت تشرب في وعاء يسمى بالزبادي، قال بعض الأولياء(١٤٤):

مـا عـرَفَ الحـقَّ سِـوى عـاقـلٍ ... يـشـربُ مـنْ وسـطِ الـزَّبـادي زِبـادِ

وقال محمد ماماي الرومي الإنقشاري(١٤٥):

لونُها قدْ حكى أذايبُ مِسْكٍ أو زبادٍ وسط الزّباد الجليّهْ

كما استخدمت الفناجين البيضاء الصينية أداة لشربها وقد تغزّل بها الشعراء كثيراً، وشبّهوها بسوادها في الفناجين البيضاء ببؤبؤ العين الأسود وسط بياضها، قال نجم الدين الغزّي(١٤٦):

إشْرَبْ منَ القهوةِ صاعَينِ ولو ببذلِ الوُرْقِ والعَيْنِ
سوداء في بيض فناجينها كأنها الإنسانُ منَ العينِ

٣- ما يمزج بقهوة البن

بالرغم من أن بعض من حرّم قهوة البن لجأ إلى تحريمها بحجة أنها تخلط بالمحرمات والمسكرات، إلا أنَّ من أحلّها وحثّ على شربها نفى أن تكون صالحة لأي شيء من المحرمات لأنها لا تقبله، بل يمزج معها القُرنفل والهال والمسك والصَّندل. قال أبو الفتح المالكي المغربي في ذلك شعراً(١٤٧):

مع أنهم ما وضَعوا قطُّ بها محرّماً أصلاً فكُن مُنْتَبِها
إذ هيَ لا تقبلُهُ بحالٍ فمزجُهُ بها من المحال
وإنّما تقبل كالقُرنْفُلِ والهالُ والمسكُ وبعضُ الصندل
وما سوى ذاكَ فهو أجنبي منها فَسَلْ كلَّ فتى مجرّبِ

ومثله قول الحريري مفتي حماة(١٤٨):

هاتِها قهوةً خلاصةَ بُنٍّ مُرَّةَ الذَّوقِ تدفعُ النّومَ عنّي
واسْقِنيْها بالهالِ يَعْبِقُ منها طيبةً فوقَ طِيْبِها وادْنُ منّي

كما كان يضاف إليها العود فيعطيها رائحة طيّبة، قال حسين الجزري الحلبي(١٤٩):

اسقني قهوةَ بُنٍّ وامزجِ القهوةَ عُودا
فهيَ للصفراءِ والبلغـ ـمِ تمحو وهي سودا

وقال محمد ماماي الرومي الإنقشاري(١٥٠):

أنا المعشوقة السّمرا أُجلَّى في الفناجينِ
وعودُ الهندِ لي عِطْرٌ وذكْرِي شاعَ في الصِّيْنِ

وكان كثير ممن يشربونها يداومون على شربها ويعتادون عليها اعتياد آكل الأفيون له، وقد سُمِّي هؤلاء باسم "خُرَام"(١٥١)، وروى الجزيري أن أحمد بن عمر المُزَجِّد كان يشربها دائماً ولا يتركها أبداً، وفي مرض موته عجز عن تناول الطعام، وكان لا يقبل إلا القهوة الممزوجة باللّبن الحليب(١٥٢).

كما كان بعض الناس يفضل أن يشربها بإضافة الثلج إليها وبخاصة في فصل الصيف، قال الأديب أحمد بن شاهين القبرصي الدمشقي(١٥٣):

غنيتُ بالثّلجِ عن سَوداء حالكة من قهوةٍ لم تكنْ في الأَعْصُرِ الأُوَلِ
وقلتُ لما غدا خِلِّي يُعَنِّفُني (في طَلْعةِ الشّمسِ ما يُغْنيك عن زُحَلِ)[١٥٤]

٤- بيوت قهوة البن

بعد شيوع شرب قهوة البن بين الناس في مختلف البلدان الإسلامية، أُقيمت لشربها بيوت خاصة عرفت باسم بيوت القهوة، تعاطى فيها الناس القهوة جهراً(١٥٥). وقد سميت في بعض الأحيان باسم الخمّارة لأن الناس كانوا يجتمعون على شربها اجتماعهم على شرب الخمر(١٥٦). كما أطلق بعضهم على أماكن شربها اسم حانات اللهو، لأنها كانت تخلط بالمحرّمات، وتُدار على شاربيها كما تدار المسكرات، ويرافق شربها غيبة ونميمة وقذف المحصنات، واختلاق الكذب والإشاعات(١٥٧). كما أطلق عليها أهل الشام اسم بيوت المعرفة، لأنها كانت تجذب إليها الأدباء والعلماء(١٥٨).

وإضافة إلى شربها في الأماكن العامة تلك، فقد شربت قهوة البن في مجالس الصوفية(١٥٩)، وفي المساجد والزوايا والربط، ومنها: الحرمين الشريفين في مكة والمدينة والجامع الأزهر(١٦٠)، وفي بيوت الناس، عامتهم وخاصتهم(١٦١)، وعلى الطرقات العامة(١٦٢).

وبذلك فقد شربها عموم الناس من الرجال والنساء والأمراء والأرقاء والشيوخ والشبّان والكهول والأطفال، وصارت في غاية الشهرة في بلاد اليمن والحرمين والأقطار المصرية

والشاميّة والرومية وغير ذلك من البلاد(١٦٣).

ولا شك في أن ظهور بيوت القهوة في دمشق وغيرها من المدن في بلاد الشام وأنحاء العالم الإسلامي المختلفة في ذلك الوقت يدل على أحد أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، إذ بالرغم من الاختلاف حول تحليلها أم تحريمها(١٦٤) وجدت لها بيوت عامة سميت باسمها. وكانت لها مميزات محددة، وتمارس فيها ممارسات عديدة، بعضها مقبول وبعضها الآخر مرفوض، وهذا انعكس على نظرة الناس لتلك البيوت ومدى تقبلهم لها.

ومن خلال تتبعي لما كان يجري في بيوت قهوة البن يمكن ملاحظة ما يأتي:

أ. أنها كانت تفتح أبوابها منذ الصباح الباكر وحتى ساعات متأخرة من الليل بل ربما كان بعض روّادها يبيتون فيها لكثرة مكوثهم فيها، فالشاعر الفقيه أحمد العناياتي النابلسي كان يذهب إلى بيت القهوة في دمشق بعد صلاة الفجر فيشرب أقداحاً عدة ليهيئ نفسه للكتابة شعراً ونثراً(١٦٥)، قال المحبي: " وكان في الغالب يقضي أوقاته في بيوت القهوة وربّما كان يبيت هناك "(١٦٦). والصوفية كانوا يشربونها لاعانتهم على السهر في مجالس العبادة والذكر، والخاصة والعامة كانوا يشربونها في الموالد والولائم(١٦٧).

ب. أنها كانت تشرب في جماعات من الناس وفي محافل عامة(١٦٨).

ج. كان أصحاب بيوت القهوة يهتمون بتوفير أجواء لطيفة لروّادها، كي يستريحوا فيها من عناء الدنيا وهمومها، ويتمكّنوا من الكتابة والإبداع والتفكير السليم(١٦٩)، ومن الأشياء التي اهتمّوا بتوفيرها في بيوت القهوة: الماء الجاري على شكل جداول أو نوافير، والساقي المليح وجهاً وعوداً، قال البوريني: " يكون فيه (بيت القهوة) الماء الجاري مع المليح الساقي والجلوة "(١٧٠).

د. كان يعمل في بيوت القهوة بعض الموسيقيين بهدف ادخال الطرب والسرور إلى نفوس روّادها، فقد ذكر النجم الغزي: أن مصطفى بن تنكز أستاذ الموسيقى والألحان في القرن الحادي عشر / السابع عشر عمل في قهوات دمشق ليلاً ونهاراً، وكان حسن الصوت، ما يعني أنه كان ملحناً ومغنياً(١٧١).

هـ. كان يؤم بيوت القهوة مجموعات متنوعة من الناس، فيدخلها الأدباء والعلماء وأهل العلم كما يدخلها السفهاء وسقط الناس(١٧٢).

و. كان لشربها في بيوت القهوة طقوس متنوعة منها:

١. أن الصوفية كانوا يضعونها في ماجور كبير من الفخار الأحمر، ويغترف منها النقيب بسكرجة صغيرة، ويسقي أتباعه الأيمن فالأيمن مع استمرار ذكرهم المعتاد وهو (لا إله إلا الله الملك الحق المبين)(١٧٣). كما كانوا يشربونها في خلواتهم أيام الشتاء عندما يصومون ثلاثة أيام متتالية وبعد الإفطار لا يشربون الماء بل القهوة ويستمرون في الذكر والعبادة آناء الليل وأطراف النهار (١٧٤).

٢. كان بعض الناس يضعونها في آنية خاصة، ويحضرون آلات شربها ويتكلمون عليها بما يُتكلم على الخمر ويديرونها كما تدار الخمر مع حضور النساء والمرد من الغلمان(١٧٥).

٣. كانت تشرب في حانات لهو حيث تخلط بالمحرّمات وتدار كالمسكرات ويرافق شربها الغيبة والنميمة وقذف المحصنات واختلاق الكذب والإشاعات. كما كان يغنى عليها بآلة، ويرقص الحاضرون(١٧٦).

٤. كانت تعمل في المحافل العامة التي يجتمع فيها القضاة وغيرهم من كبار القوم، وذوي المناصب، ولا يعمل مولد أو وليمة عامة ليلاً أو نهاراً في مسجد أو بيت أو رباط أو غيره من غير قهوة إلا نادراً(١٧٧).

٥. كان بعض الناس يشربها وهو يلعب النرد، فقد ذكر المحبي في ترجمته للشاعر عبد الحي بن أبي بكر المعروف بطرز الريحان الدمشقي، أنه كان يهوى غلاماً فمرّ عليه وهو يلعب النرد في أحد بيوت القهوة بدمشق فلم يكترث به الغلام فقال في ذلك (١٧٨):

حَقّرَتْ هندٌ ذمّتي واستعاضَت ... عن صُروح الرياضِ بالعفريتِ
وتلاهَتْ بالنّرد في ذلك المجـ ... ـلس خوفَ اتّهامها بالسُّكوتِ

٦. كانت تباع في مكة المكرمة عام ٩١٧/ ١٥١١، في أماكن على هيئة الخمارات، ويجتمع عليه الناس من رجال ونساء بدفّ ورباب وغير ذلك من آلات الملاهي، ويجتمع في الأماكن التي يباع فيها من يلعب بالشطرنج والمنقلة وغير ذلك بالرّهن وغيره مما هو ممنوع في الشريعة المطهّرة(١٧٩).

وقد دفعت الأحوال المنكرة التي كانت تشرب فيها قهوة البن في بعض بيوت القهوة،

بعض الشعراء إلى أن يحذّروا الناس من دخولها، قال الشيخ محمد العلمي المقدسي في ذلك(١٨٠):

واحـذَرْ دخـولكَ للـقـهـواتِ إنَّ بـهـا ... جُلَّ الفواحشِ مغ كذبٍ وغَيْبـاتِ
كَـمْ قهوةٍ أصـبحـت للـهـو جـامـعـةً ... وكَـمْ بـلايـا بـهـا لأَهْـلِ الـدِّيـانـاتِ
كـمـحـنـةٍ شغلـتهـم عـن بيـوتـهـم ... وعـن صـلاةٍ وأَوْرادٍ وطـاعـاتِ

وقد أدى انتشار القهوة إلى أن يهتم بها الولاة العثمانيون في دمشق بحيث بنوا لها أسواقاً في المدن الكبيرة، إذ عمّر الأمير محمد بن منجك سوق القهوة في دمشق سنة ٩٩٥/ ١٥٨٦(١٧١)، كما أوقف مراد باشا الثاني الذي تولى دمشق عام ١٠٠٣/ ١٥٩٤ سوق القهوة في دمشق على الحرمين الشريفين(١٨٢)، وعمّر درويش باشا بن رستم باشا والي دمشق سنة ٩٨١/ ١٥٧٣، سوق الجوخ والقهوة بدمشق ووقفهما على الجامع الذي بناه وسمّاه باسمه(١٨٣).

٥- مجالس شرب قهوة البن

بعد أن شاع شرب قهوة البن أقيمت مجالس خاصة لشربها في بيوت الخاصة، وفي المتنزّهات، وفي مجالس الذكر الخاصة بالصوفية، وذلك بعد أن تمّ تجاوز إدعاء من قالوا بحرمتها لأنها تدار في مجالس شربها كما تدار الخمر، قال أبو الفتح المالكي من قصيدة طويلة قالها في الإفتاء بحلّ القهوة وردّ الإدعاءات حول حرمتها(١٨٤):

فـمـن يـقـولُ إنّهـا تـُـدارُ ... كـمـا يـدارُ الخـمـرُ والـعـقـارُ
فقلْ أخـي لقد حكمتَ بالـهَـوى ... وإنّـمـا لـكـلِّ عـبـد مـا نَـوى
وهـيـئـةُ المجلـس لا تُـعْـتَـبـر ... إذا لم يـزلْ فيها يدار الـشُّكر
وغيـرهُ مـن لـبن ومـن عـسـل ... بـين ذويـه عـلّلا بـعـد نـهـل
لا سيما والمصطفى بادي السَّنا ... مـا بـين صـحـبـه أَدارَ الـلَّـبـنـا

ولكنّه يحرّم هيئة الشرب المماثلة لهيئة شارب الخمر الذي يحرّك رأسه وكفّه تمايلاً في أثناء الشرب، قال:

من هيئةٍ تنشأُ فـي النَّشـبيه بشـاربِ الخُمور عـن تمويـه
كواضعٍ في الكاس ماءً صَرْفا مُـحـرِّكـاً رأسـاً لـهُ وكَـفَّـا

وكان مفتي الدولة العثمانية المولى أبو السعود سئل عن شرب القهوة فقال إنها حلال، لكنّه عقّب: " وأما اجتماع الفسقة على إدارتها على الملاهي والملاعب وعلى الغيبة والنميمة فإنه حرام بلا شك "(١٨٥).

وبناء على ذلك، فإن النجم الغزّي وبعدما أفتى بحلّ قهوة البن في ذاتها رداً على من سأله الفتوى، وقال يحذِّر من شربها في مجلس تدار فيه كما تدار الخمرة، ويصحب شربها المنكرات من غلمان ومعازف ولعب نرد، ولغو يقود إلى فقدان الرشاد والتقوى وإضاعة الصلاة(١٨٦):

غيرَ أنَّ الذي يجـيء بـيـوتـاً هـي فـيـهـا تـدارُ عـادم نـخـوه
إذ يرى المردَ والمعازفَ والنَّردَ وكـلٌّ يـلـهـو فـيـتـبـعُ لَـهـوَهَ
ثـمَّ لـم يقْـوَ أنْ يغيـِّرَ نـكـراً خـشـيـةَ أنْ يُـعَـدَّ ذلـكَ هـفـوَه
أو يجيبوهُ بالإهـانةِ والسوءِ ويـجـفـونـه بـأعـظـمِ جَـفْـوه
أو يخلـي شيطـانـَه لهـواهُ لهوه في تلك البيوت ولغوه
معرضـاً عن رشـاده وتُقـاه سـالـيـاً عن صلاتـه أيّ سـلْـوَه
كـل هـذا مخـالـف لطـريـقٍ خطة المصطفى وعرّج نحوه

ثمّ حثّ على شربها في البيت بعيداً عن مجالس السوء تلك، فقال:

وإذا شئتَ شربَ قهوةِ بـنٍّ حسوةً قد أردتَ أو ألفَ حسوه
فليكـنْ ذاكَ وسطَ بيتكَ مهما لم تَشُبْ صَفْوها بموجب صبوه
واذكـرِ اللـهَ أوّلاً وأخيـراً وتـوثّـق منـه بـأوثـق عُـروه

لكن الصوفية وغيرهم من الشعراء الملتزمين حثّوا على شربها في مجالس خاصة بها، وفي بيوت أقيمت لشربها سمّوها باسم الحانات، وقد حدّدوا شربها بما يتفق والشريعة الإسلامية، فهذا زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي، يحث على شرب القهوة في حانة تِشبه الجنة في بسطة عيشها ورقته وصحبته(١٨٧):

إنْ تشرب القهوةَ في حانِها ... فاللّطفُ قد حَفَّ بنُدمانها
حانٌ حكى الجنةَ في بسطها ... برقّةِ العيش وإخوانِها
لا همَّ يبقى ولا غمَّ إذا ... قابلكَ السّاقي بفنجانها
قريبة العهد بِعَدْنٍ فإن ... شكَكْتَ فانظر حُسْنَ ولْدانها
لا يوجدُ الغمُّ بحاناتها ... قدْ خضعَ الغمُّ لسلطانها

وهذا الجزيري يحث على شربها في الحانات الصوفية، حيث يلهج رُوَّادها بذكر الله في مجلس تسوده المسرَّة، وتملأه رائحة البخور والريحان، ويطلب فيه زوال النقم، ويحذّر من شربها مع التلهي بالمجون والمنكر، قال(١٨٨):

وادْخلْ لحاناتها واشربْ وكُنْ لِهجاً ... بالذكرِ فهي طريقُ الصَّادقِ الفَهمِ
واسْتَحْلِ في حانها واغنم مسرّتها ... في مجلسٍ صادقٍ لله ذي الكرمِ
مع البخورِ أو الرَّيحان في ملأ ... تدفعُ بدعوتهم ما خفت من نقمِ
ولا تكُنْ بحديثِ اللَّهوِ مشتَغِلاً ... ففي البطالةِ أنواعٌ من الوصمِ

أما الفقيه محمد بن شرف اليمني فيحث على ارتياد حاناتها، التي هي مجلس للذكر الجميل، وأن لا يستمع من يرتادها إلى كلام اللائمين، قال(١٨٩):

حانائها مجلسٌ للذّاكرينَ فكم ... تلقى لأصواتهم في حانها زَجلا
فانهض إلى حانِها لا تنثني أبداً ... ولا يصدَّنكَ عنها عذلُ من عَذلا

ويسير على الخطى نفسها الشيخ الشاعر عبد اللطيف بن سليمان باكثير، فهو في وصفه لمجلس شرب قهوة البن يحدّد الطريقة الفضلى للشرب، وهي أن تكون سخنة وأن يذكر الله ويقرأ سورة الفاتحة، ثم بعد ذلك لا ضير في ما يمكن عمله، فبالإمكان التَّصفيق والغناء أو الإفتاء والدراسة أو استحضار كل ما يدعو إلى إضفاء الحسن والجمال على المجلس، ومنه الساقي متمايل القدِّ. وينتقد أهل الشام على مغالاتهم في
نعتها، قال(١٩٠):

وأَدِرْها على دُرَى الفنِ ... سُخْنَةَ الملمسِ

قُـلْ لمـن شُرْبـُهـا مـلـّـة ... ويـصـيـبُ الـصّـواب
فاجتلي كاسها على اسم الله ... واتـلُ أم الـكـتـاب
ثـمّ صـلِّ علـى رسـول اللـه ... واجـتـلـيـهـا ثُـثـاب
ثـمّ صفّق إن شـئت أو غَـنِّ ... وافْـتِ أو أدرس
واتْبعْ ما دعـا إلـى الحسـن ... واجـتـلـب مـائـسِ
لـم أرَ قـطّ عاطفـاً عاكـفـاً ... وحـظـي بـالمـرام
وتغالى في نعتهـا الـواصف ... غـيـر أهـل الـشّـام

وقد وصف عدد من الشعراء الساقي في مجلس قهوة البن وأضفى عليه الصفات نفسها ـ تقريباً ـ التي وصف بها ساقي الخمر، والصفات التي كان الشعراء يضفونها على معشوقيهم من الغلمان المرد الذين كانوا يعملون في الأماكن العامة ومنها بيوت قهوة البن أو من كان يعمل لدى أسيادهم من الحكام والعلماء.

قال أبو المواهب البكري الصديقي في وصف مجلس لشرب قهوة البن في حانة(١٩١):

وقَهـوةٍ تنضـحُ مسـكاً ولا ... بدعَ ففي الفنجان شكلُ الغزالْ
حُبابها مـنْ فوقِهـا مـانـع ... نِـفـارُهُ فـهـو شـبـاكُ الـلآلْ
تُديرهـا هيفـاءُ ممشـوقـةٌ ... خُـودٌ تثـنّت في بـرودِ الـدّلالْ
كادَ حجى من أقبلت نحـوَهُ ... يذهبُ من رنّات تلك الحجالْ
بعـرَّةٍ أو طـرّةٍ وزَّعـت ... أفكاراً بـين الـهُدى والـضَّلالْ
تقـولُ للشَّمْسِ وقـد أقبلـت ... تـلـثَّـمـي مـا أنـتِ إلاّ خـيـالْ

فالساقي غزال تنعكس صورته في الفنجان، ويتولى حباب القهوة مهمة حبسه داخل الفنجان، وهو كالفتاة ممشوقة القدّ تتثنى في ثيابها دلالاً، ورنّات حجاله تكاد تذهب عقل الزبون، وهو بغرّته الجميلة يدخل الشك في نفسه فيتوزع عقله بين الدعوة للضلال والهدى، وهو مشرق الوجه يسبي عقل الزبون فلا يلتفت للشمس وقت اشراقتها التي يَدعوها للتلثم في حضرة الساقي. وقد ركّز عدد من الشعراء في وصفهم الساقي على إظهارهم لجمال الوجه وإشراقه، ومنهم محمد ماماي الرومي والشهاب الخفاجي(١٩٢).

وقال أبو بكر بن أبي كثير يصف مجلساً آخر لشرب قهوة البن، تدار فيه كما تدار الخمرة، فتبتهج النفس، ويتولى إدارة القهوة وسقايتها ليلاً فتى صاحب قدٍّ جميل نور وجهه كنور الشمس، ووجهه البدر، ويحيي المجلس مغنون وضاربو دفوف وزمّارون (١٩٣):

يا مديرَ القهوة البن ... بهجة الأنفس
أمِنَ القدِّ أم من الدِّن ... جدتَ بالأكؤوسْ
قد جمعتَ الشموسَ والأقمار ... تحتَ ليل بهيم
والمغني والدّف والمزمار ... والسِّرُ والمقيم

وقال أبو الفتح المالكي يصف مجلساً آخر قام وسط الطبيعة الغناء وقت الربيع فيه ساق جميل وزهور وطيور زادت المجلس جمالاً(١٩٤):

واسْقِنيها في الورد والريحان ... في زمان الربيعْ
مع غزالٍ بحسنه الفتّان ... للبرايا يُريعْ
قد زها زهر قدّه عن شان ... بالجمالِ البديعْ
ناعس الطّرفِ حبه فني ... لا ظبا الكنسْ
ساحرٌ باللحاظ والجفن ... فهي كالخنّسْ
وترنّم لنغمة القمري ... واجتليها عيانْ
بين زهر الرِّياض والزهر ... وسنا الأقحوانْ

فهو يفضل شربها في فصل الربيع بين الورود والرياحين، مع ساق جميل يريع الناس بحسنه، ويزهو على الزهر بقدِّه، ناعس العينين، ساحر اللحظ، جفنه كجفن الظبي، ومع غناء طيور القمري وهي تنتقل بين زهور الرياض.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة استطيع القول أن ظهور قهوة البن في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، قد أدى إلى إثارة جدل في المجتمعات الإسلامية حولها من حيث التحليل والتحريم. وكما تدخّل الفقهاء في الأمر، فقد تدخّل الشعراء فيه، وانقسموا إلى قسمين: الأول، مؤيد لقهوة البن، أخذ يحث على شربها ويبين فوائدها المختلفة، وفي أثناء ذلك تحدّث عن أول ظهورها، وأنواعها، وطرق صنعها، وأدوات شربها. والثاني: معارض لقهوة البن، أخذ يحذّر من الإقبال عليها، ويبين مضارها، وأوجه حرمتها.

تدخّل الشعراء في الجدل حول قهوة البن أدى إلى ظهور موضوع قول جديد لهم في هذا العصر، ما أدى إلى ظهور فن شعري جديد ومتكامل، هو شعر قهوة البن. وهذا يدلّ على قدرة الشعراء ليس فقط على التعبير عمّا كان يحدث في المجتمع من قضايا اجتماعيّة ودينيّة، لا بل والإسهام في إشاعة هذه القضايا أو القضاء عليها.

الهوامش والتعليقات

(١) الحسن البوريني، تراجم الأعيان، ١/ ٩٣.
(٢) م.ن، ٢/ ٢٥٣.
(٣) أنظر: م.ن، ٢/ ٢٥٣-٢٥٥.
(٤) أنظر: نعيم الحمصي، نحو فهم جديد، ٢/ ١٤٧.
(٥) أنظر: م.ن، ٢/ ١٥٦-١٥٩.
(٦) أنظر: ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري، ص ١٦١-١٦٢.
(٧) أنظر: ليلى الصباغ، من أعلام الفكر العربي، ص ٢٠٠-٢٠١.
(٨) أنظر: ابن منظور، اللسان، مادة قها؛ والفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٤/ ٣٨٤.
(٩) الوليد بن يزيد، الديوان، ص ١٧؛ وأنظر: الأصفهاني، الأغاني، ٦/ ١١٠, و٨/ ٧٩, و٢٠/ ١٨٠.
(١٠) أبو نواس، الديوان، ١/ ٣٣، وأنظر أيضاً، ١/ ٧٥, ٧٩, ٨١, ٨٣، وغيرها كثير.
(١١) مسلم بن الوليد، الديوان، ص ٣٥-٣٦.
(١٢) أنظر: الجزيري، عمدة الصفوة، ص ٣٩-٤٢ و ٩٣-٩٥.
(١٣) م.ن.، ص ٤٧.
(١٤) أنظر: موجز الموسوعة الإسلامية، ٢٧/ ٨٣٩٢.
(١٥) الجزيري، م.س، ص ٤٧.
(١٦) أنظر: القاسمي، رسالة ، ص ١٥؛ موجز الموسوعة الإسلامية، ٢٧/ ٨٣٩١.
(١٧) مخا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٦٧.
(١٨) القاسمي، م.س، ص ١٥؛ موجز الموسوعة الإسلامية، ٢/ ٨٣٩٢.
(١٩) أنظر: م.ن.، ٢٧/ ٨٣٩٢.
(٢٠) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٦٧.
(٢١) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٢٦.
(٢٢) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٩-٥٠.
(٢٣) أنظر: النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٩٧.
(٢٤) أنظر: ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري، ص ١٦٢.
(٢٥) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٨-٤٩.
(٢٦) أنظر: النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٢٦؛ ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري، ص ١٦٢.
(٢٧) النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٢٦.
(٢٨) أنظر: النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٢.
(٢٩) أنظر: ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري، ص ١٦٢.
(٣٠) أنظر: القاسمي، م.س.، ص ١٥.
(٣١) الجزيري، م.س.، ص ٤٥-٤٦.
(٣٢) الجزيري، م.س.، ص ٤٦.

(٣٣) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٧.
(٣٤) الجزيري، م.س.، ص ٤٧.
(٣٥) الجزيري، م.س.، ص ٤٧-٤٨.
(٣٦) أنظر: عبد الله الحبشي، مقدمة عمدة الصفوة، ص ٦.
(٣٧) الجزيري، م.س.، ص ٤٨.
(٣٨) عبد الله الحبشي، مقدمة عمدة الصفوة، ص ٦-٧.
(٣٩) النجم الغزّي، م.س.، ١/ ١١٤.
(٤٠) النجم الغزي، م.س.، ١/ ١١٤.
(٤١) الجزيري، م.س.، ص ١٧٦ ؛ النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٧٩.
(٤٢) القاسمي، م.س.، ص ٢٣-٢٤.
(٤٣) النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٩٨-١٩٩ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٠.
(٤٤) الجزيري، م.س.، ص ٤٧-٤٨.
(٤٥) أنظر: عبد الله الحبشي، مقدمة عمدة الصفوة، ص ٦.
(٤٦) الجزيري، م.س.، ص ٥١
(٤٧) الجزيري، م.س.، ص ٥٢.
(٤٨) الجزيري، م.س.، ص ٥٢.
(٤٩) الجزيري، م.س.، ص٥٥.
(٥٠) الجزيري، م.س.، ص٦٩.
(٥١) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٥٢ ؛ النجم الغزي، م.س.، ١/ ٥٩.
(٥٢) الجزيري، م.س.، ص ٥٤.
(٥٣) الدفتردار: موظف يعنى بحساب ومصروفات الدولة العثمانية في الولاية، وتقابل في عصرنا مأمور المالية أو مدير القسم المالي، وهو يرأس الدفترداري التي هي دائرة الشؤون المالية في ولاية الشام.
أنظر: عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٦٨ ؛ العرب والعثمانيون، ص ٤٦.
الأغوات: مفردها آغا، وتعني رئيس الجند أو ضابط الجند. أنظر: ليلى الصباغ، من أعلام الفكر العربي، ص ١٧٢-١٧٥.
(٥٤) النجم الغزي: م.س.، ٣/ ٥٨.
(٥٥) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٥٨.
(٥٦) النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٣.
(٥٧) النجم الغزي، م.س.، ٢/ ٣٩-٤٠.
(٥٨) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ١٨٥.
(٥٩) البرش: تركيب مخدر كالأفيون، يسبب لآكله ضيقاً وأضراراً كبيرة، ويتوجب عليه المداومة على أكله، ويتكلف كلفة كبيرة حتى يستطيع تركه. أنظر: البوريني، م.س.، ١/ ٧٤.
(٦٠) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٣٥-٣٦ و ١٩٦.
(٦١) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ١٩٦.
(٦٢) القاسمي، م.س.، ص ٢١.
(٦٣) الجزيري، م.س.، ص ١٥٠-١٥١ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢١.

(٦٤) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٩٦.
(٦٥) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٢٤.
(٦٦) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٣١.
(٦٧) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١١٩.
(٦٨) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١١٩.
(٦٩) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٣.
(٧٠) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٣.
(٧١) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٦٩, ٧٤-٧٥, ٨٧-٩٩.
(٧٢) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٦٩.
(٧٣) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٣٥.
(٧٤) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٣٦.
(٧٥) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٢٥؛ العيدروسي، النور السافر، ص ١٧٨، وفيه ورد البيت الأول هكذا: (هـذه القهـوة هـذه ليست المنهـيٌّ عنهـا)؛ القاسمي، م.س.، ص٢٢.
(٧٦) النجم الغزي، م.س.، ٢/ ١٨٠.
(٧٧) العيدروسي، م.س.، ص ٣٨٥؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٦.
(٧٨) الجزيري، م.س.، ص ١٥٠.
(٧٩) البوريني، م.س.، ١/ ٢٣٥.
(٨٠) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٢٥؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٢.
(٨١) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٤١.
(٨٢) النجم الغزي، م.س.، ٣/ ٩٢، القاسمي، م.س.، ص ٣٠.
(٨٣) القاسمي، م.س.، ص ٢١.
(٨٤) النجم الغزي، لطف السمر، ٢/ ٥٥١؛ المحبي، خلاصة الأثر، ٢/ ١٩٧.
(٨٥) النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٣/ ٣٦؛ القاسمي، م.س.، ص ١٩.
(٨٦) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ١/ ١١٤, ٢/ ١٩٨-١٩٩, ٣/ ٣٥-٣٦؛ العيدروسي، م.س.، ص ١٧٦؛ القاسمي، م.س.، ص ١٩-٢١.
(٨٧) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٤٤.
(٨٨) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٤٥.
(٨٩) الجزيري، م.س.، ص ١٥١-١٥٢.
(٩٠) الجزيري، م.س.، ص ١٥٧.
(٩١) الجزيري، م.س.، ص ١٥٨.
(٩٢) الجزيري، م.س.، ص ١٧٢.
(٩٣) الجزيري، م.س.، ص ١٧٤.
(٩٤) الجزيري، م.س.، ص ١٦٥.
(٩٥) الجزيري، م.س.، ص ١٦٩.
(٩٦) العيدروسي، م.س.، ص ٣٨٥.
(٩٧) العيدروسي، م.س.، ص ٢٣٩-٢٤٠..

(٩٨) في العيدروسي، م.س.، ص٢٣٩ : بشربها، وبها لا يستقيم وزن البيت، والمثبت اجتهاداً مني لإقامة الوزن.
(٩٩) الجزيري، م.س.، ص ١٧٥ ؛ النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٨٠.
(١٠٠) الجزيري، م.س.، ص ١٦٠-١٦١.
(١٠١) الجزيري، م.س.، ص ١٧٥ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٥.
(١٠٢) الجزيري، م.س.، ص ١٧١.
(١٠٣) الجزيري، م.س.، ص١٦٥-١٧٤.
(١٠٤) الجزيري، م.س.، ص ١٦٤.
(١٠٥) الجزيري، م.س.، ص١٧٦.
(١٠٦) الجزيري، م.س.، ص١٧٢.
(١٠٧) الجزيري، م.س.، ص ١٥٢-١٥٣.
(١٠٨) الجزيري، م.س.، ص ١٥٤.
(١٠٩) هنا إشارة إلى الإدعاء الثالث لتحريم القهوة وهو أنها تدار في مجالس شربها كما تدار الخمر.
(١١٠) الجزيري، م.س.، ص ١٥٣-١٥٤.
(١١١) الجزيري، م.س.، ص ٤٢-٤٤, ١٧٢.
(١١٢) الشهاب الخفاجي: م.س.، ١/ ٤١٨ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٧.
(١١٣) الجزيري، م.س.، ص ١٧٦-١٧٧.
(١١٤) القاسمي، م.س.، ص ٢٧.
(١١٥) الشهاب الخفاجي، ريحانة الألبا، ١/ ٤١٩ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٩.
(١١٦) الجزيري، م.س.، ص ١٧٢.
(١١٧) الشهاب الخفاجي، م.س.، ١/ ٤١٩.
(١١٨) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ٨٦-٨٧ ؛ الشهاب الخفاجي، م.س.، ١/ ٤١٧ ؛ القاسمي، م.س.، ص٢٧.
(١١٩) النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ٨٦ و ٣/ ٩٢.
(١٢٠) م.ن.، ٢/ ٨٦-٨٧.
(١٢١) الشهاب الخفاجي، م.س.، ١/ ٤١٧ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٩.
(١٢٢) العيدروسي، م.س.، ص ٣٣١ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٩.
(١٢٣) الشهاب الخفاجي، م.س.، ٢/ ٢٢٦، ومثله أبيات للخفاجي.
(١٢٤) العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٥.
(١٢٥) العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٤.
(١٢٦) العيدروسي، م.س.، ص ١٧٨.
(١٢٧) العيدروسي، م.س.، ص ٣٢٩.
(١٢٨) القاسمي، م.س.، ص ٢٤.
(١٢٩) القاسمي، م.س.، ص ٣١.
(١٣٠) القاسمي، م.س.، ص ٣١.
(١٣١) القاسمي، م.س.، ص ٢٥.

(١٣٢) العيدروسي، م.س.، ص ٢٧٠.
(١٣٣) النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٣/ ١٩٢ ؛ القاسمي، م.س.، ص٣٠.
(١٣٤) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٩٨.
(١٣٥) أنظر: العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٥.
(١٣٦) أنظر: المحبي، م.س.، ٢/ ١٩٨.
(١٣٧) القاسمي، م.س.، ص ٢٨.
(١٣٨) الجزيري، م.س.، ص ٦٥.
(١٣٩) الجزيري، م.س.، ص ٦٥ ؛ العيدروسي، م.س.، ص ٣٣١.
(١٤٠) الجزيري، م.س.، ص ٦٥. السكارج: مفردها سُكْرجَة واسكُرجة: وهي لفظة فارسيّة معرّبة، وهي: إناء صغير معناه مقرب الخل، وقيل: إناء صغير توضع فيه بعض الأطعمة على الموائد ؛ أنظر: الشهاب الخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٤ ؛ مصطفى الخطيب، معجم المصطلحات، ص ٢٥٤.
(١٤١) الدّن: ما عظم من الرواقيد، وهو وعاء ضخم للخمر. أنظر: ابن منظور، اللسان، مادة دنن ؛ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ١/ ٢٩٨.
(١٤٢) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٨.
(١٤٣) أنظر: البوريني، م.س.، ٢/ ١٣٩-١٤٠ + ١٥١.
(١٤٤) الجزيري، م.س.، ص ١٧٤.
(١٤٥) العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٥.
(١٤٦) النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ٨٦-٨٧, ٣/ ١٣ ؛ الشهاب الخفاجي، م.س.، ١/ ٤١٧-٤١٩, ٢/ ٢٢٦ ؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٧.
(١٤٧) الجزيري، م.س.، ص ١٥٦-١٥٧.
(١٤٨) القاسمي، م.س.، ص ٣١.
(١٤٩) القاسمي، م.س.، ص ٢٩.
(١٥٠) العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٥.
(١٥١) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٤٢.
(١٥٢) الجزيري، م.س.، ص ١٣٠.
(١٥٣) القاسمي، م.س.، ص ٣١.
(١٥٤) التضمين: عجز بيت شعر للمتنبي وصدره (خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به). أنظر: العكبري، التبيان في شرح الديوان، ٣/ ٨١.
(١٥٥) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٥٢ ؛ البوريني، م.س.، ١/ ٩٣ ؛ النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٩٧ ؛ ولطف السمر، ٢/ ٦٦٣ ؛ المحبي، م.س.، ٣/ ٢٢٦, ٤/ ٢٨٧.
(١٥٦) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٣-١٤.
(١٥٧) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٩٥.
(١٥٨) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ٣٨.
(١٥٩) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ١٣١-١٣٢ ؛ المحبي، م..س، ١/ ٣٨٩.
(١٦٠) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٨-٤٩.
(١٦١) أنظر: الجزريري، م.س.، ص ٥٠.

(١٦٢) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٨٩-٩٠.
(١٦٣) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٨٨.
(١٦٤) أنظر: شفيق جبري، بيت القهوة، مجلة مجمع اللغة العربية، م٤٢ ج٣، ص ٣٧٤-٣٧٥.
(١٦٥) أنظر: البوريني، م.س.، ١/ ٩٣.
(١٦٦) المحبي، م.س.، ١/ ١٦٧.
(١٦٧) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٨٩-٩١.
(١٦٨) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٨٩-٩٠.
(١٦٩) أنظر: البوريني، م.س.، ١/ ٩٣.
(١٧٠) البوريني، م.س.، ١/ ٩٣, ٢/ ١٥١.
(١٧١) أنظر: النجم الغزي، لطف السمر، ٢/ ٦٦٣-٦٦٤.
(١٧٢) أنظر: البوريني، م.س.، ١/ ٩٣؛ النجم الغزي، م.س.، ٢/ ٦٦٣-٦٦٤.
(١٧٣) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٤٨-٤٩.
(١٧٤) أنظر: المحبي، م.س.، ١/ ٣٨٩؛ ليلى الصباغ، من أعلام الفكر، ص ٧٥.
(١٧٥) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٥٠, ١٢٩.
(١٧٦) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٦٩, ٩٥.
(١٧٧) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٨٩-٩٠.
(١٧٨) المحبي، م.س.، ٢/ ٣٣٤-٣٣٥.
(١٧٩) أنظر: الجزيري، م.س.، ص ٦٠.
(١٨٠) القاسمي، م.س.، ص ١٤.
(١٨١) أنظر: النجم الغزي، لطف السمر، ٢/ ٧١٥.
(١٨٢) أنظر: م.ن.، ٢/ ٦٥٥؛ المحبي، م.س.، ٤/ ٣٥٦.
(١٨٣) أنظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٣/ ١٥٠-١٥١.
(١٨٤) الجزيري، م.س.، ص ١٥٤-١٥٥.
(١٨٥) النجم الغزي، الكواكب السائرة، ١/ ٣٥-٣٦.
(١٨٦) النجم الغزي، م.ن.، ٣/ ٣٦.
(١٨٧) الجزيري، م.س.، ص ١٧٥؛ المحبي، م.س.، ٢/ ١٩٧؛ القاسمي، م.س.، ص ٢٥.
(١٨٨) الجزيري، م.س.، ص١٧٥.
(١٨٩) الجزيري، م.س.، ص ١٨٨.
(١٩٠) الجزيري، م.س.، ص ١٧٧؛ النجم الغزي، الكواكب السائرة، ٢/ ١٨٠.
(١٩١) القاسمي، م.س.، ص ٢٧.
(١٩٢) أنظر: العيدروسي، م.س.، ص ٢٦٤؛ الشهاب الخفاجي، م.س.، ٢/ ٢٢٦؛ القاسمي، م.س.، ص ١٦.
(١٩٣) الجزيري، م.س.، ص ١٦٠.
(١٩٤) الجزيري، م.س.، ص ١٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١/ ١٣١١)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٣٨٨/ ١٩٦٨. الأجزاء ٣, ١٣, ١٥.

(٢) ابن يزيد، الوليد (ت١٢٦/ ٧٤٤)، الديوان، تحقيق حسين عطوان، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٤١٨/ ١٩٩٨.

(٣) أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت١٩٩/ ٨١٤)، شرح الديوان، ضبط وشرح إيليا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، ١٩٨٧، ج١.

(٤) الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٣٥٦/ ٩٦٦)، الأغاني، [عن طبعة بولاق الأصلية]، بيروت: دار صعب، (د.ت)، الأجزاء: ٦, ٨, ٢٠، (روائع التراث العربي).

(٥) الأنصاري، مسلم بن الوليد (ت٢٠٨/ ٨٢٣)، شرح الديوان، تحقيق سامي الدهان، مصر: دار المعارف، (د.ت). (ذخائر العرب: ٢٦).

(٦) البوريني، الحسن بن محمد (ت١٠٢٤/ ١٦١٥)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٥٩ و ١٩٦٣، جزءان.

(٧) الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٧/ ١٥٦٩)، عمدة الصفوة في حلى القهوة، تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي، الطبعة الأولى، أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٦.

(٨) الحمصي (نعيم)، نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه، اللاذقية: منشورات جامعة تشرين، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، مديرية الكتب بجامعة حلب، ١٤٠١/ ١٩٨١- ١٤٠٢/ ١٩٨٢، ج٢.

(٩) الخطيب (مصطفى)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيّة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦/ ١٩٩٦.

(١٠) الخفّاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٦٩/ ١٦٥٨)،

أ. ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦/ ١٩٦٧، جزءان.

ب. شفاء الغليل فيما في لغة العرب من الدخيل، الطبعة الأولى، القاهرة: المطبعة الوهبيّة، ١٢٨٢هـ.

(١١) رافق (عبد الكريم)،

أ. بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦/ ١٧٩٩، الطبعة الأولى، دمشق: ١٩٦٧.

ب. العرب والعثمانيون، الطبعة الأولى، دمشق: مطبعة ألف باء، ١٩٧٤.

(١٢) الصباغ (ليلى)،

أ. المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٣.

ب. من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، محمد أمين المحبّي المؤرخ وكتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٠٦١/ ١٦٥١-١١١١/ ١٦٩٩)، الطبعة الأولى، دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

(١٣) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦/ ١٢١٩)، التبيان في شرح الديوان، ضبطه ووضع فهارسه مصطفى السقا وغيره، بيروت: دار المعرفة، لا. ت.، ج٣.

(١٤) العيدروسي، عبد القادر بن شيخ (ت١٠٣٨/ ١٦٢٩)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.

(١٥) الغزّي، نجم الدين محمد بن محمد بن محمد (ت١٠٦١/ ١٦٥١)،

أ. الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبّور، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩، ثلاثة أجزاء.

ب. لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق محمود الشيخ، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١-١٩٨٢، (إحياء التراث؛ ٥٧). جزءان.

(١٦) فرّوخ (عمر)، معالم الأدب العربي في العصر الحديث، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥، ج١.

(١٧) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧/ ١٤١٥)، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مصر: ١٣٧١/ ١٩٥٢، ج٤.

(١٨) القاسمي، (جمال الدين)، رسالة في الشاي والقهوة والدخان، دمشق: ١٣٢٢.

(١٩) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١/ ١٦٩٩)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ، ٤ أجزاء.

(٢٠) مصطفى (إبراهيم) وزملاؤه، المعجم الوسيط، طهران: المكتبة العلمية، (د.ت)، (مجمع اللغة العربية)، ج١.

(٢١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، بإشراف محمد سرحان ومراجعة حسن حبشي وزملائه، تحرير خلف الميري، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٩/ ١٩٨٨، ج٢٧.

(٢٢) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦/ ١٢٢٨)، معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د.ت.]، ج٥.